
رواية
قلب اللهب
سامية أحمد
مشاعر غالية
رُبّ كلمة أشعلت حُلماً
غلاف :سفانه العبيدي

- **اسم العمل الأدبي: قلب اللهب**
- **نوع العمل الأدبي :رواية**
- **المؤلف: سامية أحمد**
- **تصميم الغلاف: سفانة العبيدي تصميم داخلي :دعاء نبوي**
- **تنسيق داخلي: سفانة العبيدي**
- **إصدار: يونيو ٢٠١٦**
- **إشراف عام : أسامة الوحش**
- **الناشر : دار مشاعر غالية للنشر الإليكتروني**

**لنشر أعمالكم إليكترونيا يمكنكم التواصل معنا عن طريق إرسال أعمالكم لحساب الفيسبوك الأتي : مشاعر غالية للنشر الإليكتروني**



مشاعر
غالية
رُبّ كلمة اشعلت حُلماً




# قلب اللهب

٢٠١٦

رواية

سامية أحمد



بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠١٦

انطلق ذلك الصغير الذي أكمل أعوامه العشر كالقذيفة قاطعا الطرق الترابية والجسور الصغيرة فوق الترع ، لا يوقفه شيء ، ولا يبالي بحرارة شمس الظهيرة اللاذعة فكل ما يفكر فيه هو الهروب من ذلك الجمع الذي يركض خلفه ويصرون على الإمساك بهمرق الصغير كالسهم من باب داره المفتوح دائما ، ومر من أمام باب المطبخ الذي تقف فيه أمه ، وتوارى خلف باب غرفة أبيه

تركت الأم ما في يدها وتبعت صغيرها الذي أنبأتها حركاته بأنه ارتكب كارثة جديدة :

محمد .. محمد..

اطلع من ورا الستارة ، أنى عارفة انك هنه

خرج الولد الصغير من خلف الستارة يلهث :ماما ، خبينى يا ماما

ضحكت بحنان : انت مش هاتبطل عفرتة يا محمد ! يا ويلك من أبوك..عملت إيه المرة دى ؟

ألقى محمد بنفسه بين أحضانها وقال بخوف : والله ما عملت حاجه ، بس متقوليش لبابا

مسحت على ظهره بحنان : كده ! طيب .. مانت كل مرة مابتعملش حاجة أبدا





الله الوكيل أبوك هاينجن من عمايلك

يلا نتغدى الأول ..وبعدين نشوف أنهى عملة سودة عملتها

تجمد الصغير في مكانه وشد بخوف على يد أمه عندما رأى أباه يسد باب الغرفة متكأ على عصاه بجسده الطويل النحيل ووجهه المتجهم

قلّبت الأم نظراتها المندهشة بينهما ثم تساءلت : إيه ! جرى إيه؟!

هز الأب رأسه وقال لإبنه : قول لها عملت إيه يا فالح

اقتربت الأم من الصغير وسألته برفق : عملت إيه؟

قال بارتباك : حد .. حدفت الشمروخ عالراجل ، الـ .. النار مسكت في جلابيته

قالت بدهشة : راجل مين؟

همس بتوتر : عبـ.. عبعاطي

ضربت صدرها بكفها وهتفت بفزع : عبعاطي موسى!! ملقتش الا عابعاطي موسى اللى تجر شكله!!

قال بغيظ : ماهو اللى ضرب أسامة صاحبي

نظر الى والده لحظة وأكمل : وعمّال يضايق بابا في الروحة والجاية



لان وجه الأب ولاحت ابتسامة حانية من تحت شاربه الرمادي : وإنت بقى وكلت نفسك المحامي اللى بيدافع عني!!

زفرت الأم بضيق : هو عبعاطي ده مش هيتهد بقى!! ربنا يكفينا شره يالله عشان نتغدى

سحبت صغيرها من يده وغادرت الغرفة ، وبقى الأب قليلا في الغرفة يتطلع الى صورة كبيرة احتلت الجدار لشاب وسيم قد ناهز العشرين ، ثم أطلق تنهيدة حارة من أعماق قلبه ، وأغلق باب الغرفة بهدوء

بعد الغداء جلس الأب مع ابنه فى غرفة القعاد فى انتظار فنجان القهوة اليومي الذى تصنعه له الأم الحنون كما يحبه

الأب : ها ايه رأيك بقى ..أكملك حدوتة السلطان نعمان؟

محمد : لا ..عاوز حدوتة تانية

الأب : هه! حدوتة ايه ؟

أشار محمد بإصبعه الى صورة كبيرة على الجدار لنفس الشاب الذي علقت صورته في غرفة الأب وقال : حدوتة ده

الأب : يوه يا محمد ! مانى حكيتهالك ميت مرة



محمد بعناد : ماليش دعوه أنى عاوز الحدوتة دى

دخلت الأم حاملة صينية عليها فنجان القهوة وقالت : أني اللي هاحكيهالك يا محمد

وضعت الصينية على المنضدة أمام الأب ووقفت أمام الصورة تتأمل ملامح الشاب الوسيم وشعره البني الناعم وعينيه الخضراوين وملامحه الأقرب للغربية منها للشرقية وقالت بحنان جارف :

دى حكاية محمد !

ثم غاصت نظراتها فى العينين الخضراوين المتقدتين ببريق شديد يزيده انعكاس الضوء عليه توهجا

كما لو كانتا جمرتين مشتعلتين من قلب اللهب



(١)

كانت منهمكة في تحضير طعام الإفطار ، ثم انتفضت بشدة و شهقت بفزع عندما هبط فوق رأسها كالسهم قفزا من سلم السطح في وسط الدار القديمة بسقفها المكشوف للسماء

قال ضاحكا : صباح الخير يام محمد

الأم : بسم الله الرحمن الرحيم ،.كده يا محمد !! جعزتني يا وله

محمد بمرح : بعد الشر عليكي يا ست الكل (يقبل يدها)..أجيب لك طاسة الخضة ؟

الأم : فايق ورايق !! دا جدك هايطينها على دماغك ، وامبارح قلب عليك البلد كلها..

كنت فين امبارح يا وله

محمد : ماني قايلك امبارح يامه اني رايح الزقازيق

ياسلام يامه لو كنت جيتي معاية وشوفتي المحافظ وهو بيسلمني مدالية البطولة

الأم : مدالية ايه يا قلب أمك !

محمد : بطولة المحافظة يامه ، ابنك بطل المحافظة في الكنغ فو



الأم : آه لو جدك عرف !

محمد : لااا واني مجنون أقوله..الله الوكيل ده كان يحدفني فى الترعة ، هو كان بيدور عليا ليه امبارح ؟

الأم : عشان تروح معاه دار الخلايفة

محمد : ليه ؟

الأم : عشان يخطب لك زينب بنت سماعين خليفة

محمد : (بطريقه مسرحية ) إيه !! لا..لا.. كده يامه ! عاوزين تخلصوا مني !

تعالالي يابا . .هايجوزونيييي

الأم ضاحكة : يا وله عاوزين نفرح بيك

محمد : لا..انتوا عاوزين تخلصوا مني ، مش عاوزين تصرفوا على علامي

(يندمج في المسرحية التي يمثلها أمام أمه )

أني أول ما هاشوف جدي هاقوله أنا..

التفت خلفه وفوجئ بجده واقف عند الباب ينظر اليه بغضب

أكمل مرتجفا : أنا المصري..كريم الـ...



اعتدل بجدية : احم ، صباح الخير يا جدي

الجد الغاضب : صباحك زي وشك ..طول عمري باقول عليك أراجوز ومشخصاتي ..من وانت عيل بتلعب مع العيال في الحارة كنت بتعملهم أراجوز عشان تضحكهم

عمرك ما هاتبقى راجل

هربت امبارح من البلد كلها عشان ما تتجوزش!!

محمد برهبة واحترام : يااا جدي أني عاوز أكمل علامي

الجد بغضب : ياخي إن شالله ما عنك اتجوزت ، والله مانت فالح

علام ايه يا وله !! بقى انت وش علام

مش كفاية العملة السودة اللي عملتها ؟

فيه حد في الدنيه يجيب ٩٨ في المية ويدخل الآداب !! أمال الطب عملوه لمين يا وله ؟ماترد!!.

لكن هاترد تقول ايه ؟أحسن لك تسكت وتحط على خيبتك جلة

تعالى هنا يا وله

(شده من شعره ليريه مجموعة من الصور معلقة على الحائط)



بص للرجاله دول ...بص واتعلم منهم

محمد أي ..أي ..أي ..أيييي

شفتهم، شفتهم تمانين مرة يا جدي ، وعارف حكايتهم واحد واحد

الجد بغضب : لكن ماتعلمتش منهم حاجة ..هاتفضل طول عمرك عيل ، عمرك ما هاتبقى راجل

خرج بغضب متكئ على عصاه : جتكوا نيلة على سنينكوا السودة ، عيال ناقصة رباية

الأم : كده زعلت جدك ؟ يعني كان فيها إيه لما تدخل كلية قريبة بدل الغربة ياضنايه ؟

محمد : يامه أني عاوز اشوف مصر ، أم الدنيا

سرح مع نفسه فى الأحلام..

يمكن يوسف شاهين يشوفني ويكتشفني ..يا حلاوة يا ولاه و ساعتها ها مثل في السيما ، الله الوكيل دا أني هابقى أجدع من أحمد امام وعادل زكي

الأم بغضب : بينك اتخبط في نافوخك ، يبقى جدك عنده حق ..والله مانت فالح



(٢)

:: الجامعة ::

ضج مسرح الجامعة بالتصفيق الشديد للعرض المسرحى الرائع الذى قدمته الفرقة المسرحية بالجامعة ومع دخول محمد لتحية الجمهور ازداد التصفيق بشدة وصحبه صفير وصيحات إعجاب انطلقت من جميع أنحاء المسرح

بعد العرض ..

فوزى صديق محمد : إيه ده ، إيه يابنى ده

دانت الليلة دي بدعت ، ده ما فيش حد الا وعجبه دورك في المسرحية..مع إنه دور شرير ، دور واحد يهودى

محمد بثقة : طبعا يابنىّ ، دى مسألة موهبة وقدرات ، مش مهم الدور إيه ، المهم بتأديه إزاى.

فوزى : و الدور ده محدش يقدر يعمله زيك

محمد : مفيش حد فى الجامعة كلها يعرف ينطق اللغة زيي

فوزى : أيوه ، وكل ما يجيلهم دور واحد يهودي فى مسرحية محدش يمثله غيرك ، بقيت أشهر يهودي فى الجامعة

محمد : ده اسمه التقمص

فوزى : أيوه يا خويا مانت رحت خيبت نفسك ودخلتلى قسم لغات شرقيه ـ عبرى ..

والمصيبة ، إنك الأول على الكليه ٣سنين

دا أنا نفسي أسألك سؤال حارقني من زمان ، بعد ما تتخرج هاتشتغل إيه بالعبري بتاعك ده !!

محمد : هاشتغل واحد يهودى

انفجر الإثنان بالضحك : هاهاهاهاهاها

:: الرحلة ::

في رحلة الجامعة ، نزل الشباب من الحافلة لمشاهدة معالم سيناء وانتشروا فى أرجاء المكان مستمتعين بالرحلة

فوزى بأعلى صوته : محمد ..محمااااااد

يا حسن ، مشفتش محمد ؟ إيييه .. محدش شاف محمد !!

ظل يبحث حتى وصل الى محمد الواقف فى الشمس شارد تماما وإحدى ساقيه فوق صخرة والأخرى تغوص فى رمال سيناء

فوزى : إيه يابنى ! إنت دايما كده مدوخني وراك ؟ إفتكرتك تُهت

محمد : هه...بتقول حاجة ؟

فوزى : لاااا دانت مش هنا خالص ، سرحان فى ايه ؟

قال محمد دون أن يحول عينيه عن السلك الشائك الذى يبعد عنه مئآت الأمتار : في اللي ورا السلك

ياعم احنا مالنا ومالهم!! ماتخلينا في اللي قدام السلك أحسن

دا الستات هنا إيه ..قشطة

بالحق، البت داليا سألتني عنك إمبارح ، انت كنت فين ؟

محمد : كنت باخد درس خصوصي

فوزى : درس خصوصي ؟فين ؟

محمد : فى السفارة

فوزى : سفارة ايه ؟

محمد : لا دي حاجات كبيرة عليك ، مش للي في سنك

فوزى : والبت داليا ! دي سألتني عليك كذا مرة



محمد : يا عم أنا فاضيلها ؟ أنا ورايا مذاكرة، داحنا في سنة رابعة

فوزى : طول عمرك فى حكاية البنات دي بالذات قفل مصوجر ..والله مانت فالح

يالله .. يالله لاحسن الأتوبيس هايمشي

سار محمد مع صديقه بضعة خطوات، ثم التفت ليلقى نظرة أخيرة على السور، وتوهجت عيناه الخضراوان ببريق عجيب ، وكأنما اشتعل فيهما اللهب

فوزى : يالله يابنى المشرف بينادى

::.قلب الأم.::

قضى محمد إجازة نصف العام فى بيت جده ولم يخرج للتنزه إلى أي مكان على غير عادته حتى شارفت الإجازة على الانتهاء

الأم : مالك يا ضنايا ؟

إنت متغير بقالك مدة وأني مش عاوزة أتكلم

محمد : عشان قاعد فى البيت يعنى، أبدا يامه ، داني بس نفسى أقعد معاكي انتى وجدى ، أصلكوا بتوحشوني قوى وأني هناك من غيركم فى مصر

الأم بحنان : يا ضنايا يابني..تحب أجي اقعد معاك فى مصر؟



محمد :ماينفعش يامه أني قاعد مع أصحابي ، وبعدين هانت ، كلها كام شهر وتلاقيني عندك هنا على طول .. حضرتيلي الشنطة يامه ؟

الأم : طبعا يا قلب أمك، وفيها شرز تقيل زى ما طلبت

ولو اني مش عارفه لازمته إيه ؟ دا الشتا قرب يخلص

محمد : لا ماهي الدنيا ساعات بتبرد بالليل فى مصر

وقف محمد على باب البيت مودعا أمه مقبلا يديها

محمد :ادعيلى يامه ...ادعيلى جامد قوي

قالت الأم والدموع تحاول أن تهرب من عينيها : قلبى بيدعيلك فى كل صلاة يا قلب أمك

محمد : لو غبت عليكي ماتقلقيش عليا.أصلي ناوي أجيبلك هدية حلوة قوي معايا واني راجع ،

أحلى هدية في الدنيا

الأم وقد غلبتها دموعها : أني هديتي إنك تاخد بالك من صحتك ومذاكرتك وترجعلي بسرعة

محمد : ماتقلقيش عليا يامه ، هارجعلك إن شاء الله .. هارجعلك بسرعة



ودعته الأم وهي تحاول التغلب على ذلك الشعور الغريب بالإنقباض فى صدرها وأخذت تتلو آيات من القرآن لتطمئن قلبها المضطرب

سافر محمد الى القاهرة ..

وبعد عدة أيام رن جرس الهاتف فى منزل الحاج طه حسن الشرقاوى

ردت الأم ، وكان المتحدث فوزى صديق محمد : أيوه يا خالتي أم محمد ، محمد عندك ؟ عاوز أكلمه

الأم بدهشة : إيه! دا سافر مصر من كام يوم !! هو موصلش عندك؟

فوزى مذعورا : لا ماوصلش، راح فين المجنون ده !!

دى الجامعة كلها مقلوبة عليه ، بكره بطولة الكنغ فو والمدرب هايتجنن

أغلقت الأم الهاتف بحدة شديدة ، ونظرت الى إحدى الصور المعلقة على الجدار نظرة غريبة وكأنما تطلب منها المساعدة



(٣)

:: التيه ::

أعاد محمد النظر فى الخريطة للمرة العشرين ثم نظر الى البوصلة وهو يحاول تحديد موقعه بصعوبة

لقد عبر الأسلاك خلسة فى الليل

أى من عدة ساعات مرت ، اذا لابد أن يكون فى رفح الفلسطينية

لكن ..انتابه شعور قوى بأن هناك شئ ما خطأ

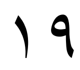
ظل يرتب أوراقه وخرائطه وأعياه البحث عن أية علامات فى الطريق

كان شعوره بأن هناك شئ ما خطأ، يزداد ويزداد مع مرور الوقت ، حتى تأكد حدسه بما لا يدع مجالا للشك

فوجئ بصوت سيارة يشق صمت الصحراء

اختبأ بسرعة حتى يتبين ما هية الشئ القادم

أطل بعينيه من مخبئه ليتأكد ظنه عندما رأى السيارة تحمل جنود يضعون شارات تحمل شكل مميز لنجمة زرقاء شهيرة



اعتقد محمد زمنا طويلا أن الخوف هو ذلك الشعور الذى ينتابه كلما غضب منه جده

لكنه أدرك أخيرا ومن خلال تجربة حقيقية أن هناك فارق كبير بين الخوف والهيبة

وكانت هذه هى أول تجربة حقيقية له مع الخوف

تسارعت دقات قلبه ، وارتجفت أوصاله ، وجرى عرقه كالأنهار : يا وقعتك السودة يا محمد

ياترى لو العربية وقفت هنا هايحصل إيه

ياترى لوحد منهم لمحك هايعملوا فيك إيه ؟

بدأ يخاطب نفسه بشكل مختلف ليقوى من عزيمته

جرى إيه يله !! ما تسترجل ، هى موته ولاأكتر !! هاتعيط من أولها!!

لكن ما كان يخاف منه لم يحدث ابدا ، وسارت السيارة فى طريقها حتى توارت عن الأنظار

التقط محمد أنفاسه ، وبدأ يدرس أبعاد الموقف

لقد أخطأ فقط فى بضعة كيلومترات ألقته بعيدا عن هدفه

فى قلب الصحراء

فى مكان مجهول ، لا يدري من أين يأتيه الخطر

أخذ يردد آيات وأدعية الكرب كما علمته أمه

أمسك بالخريطة للمرة الـ .. ، لم يعد يتذكر العدد

قال بغيظ : حتى الخرايط مغشوشة !!

مزق الخريطة بمنتهى الغيظ : وبعدين يا محمد !! هاتعمل إيه دلوقتى ؟

ظل يفكر حتى غابت الشمس وأظلمت الدنيا

تدثر بالكنزة الصوف التي وضعتها أمه مع الملابس ، لكن هيهات أن تدفع عنه البرد ..

كان البرد قارس ، ولم يكن باستطاعته أن يشعل نار ، فهو لا يعرف أين هو بالتحديد ولا من الذى يمكن أن يرى ضوء النار ، وقضى الليل مستيقظا من شدة البرد والخوف

صلى الفجر ،وجلس ينتظر شروق الشمس

استسلم لقدر الله

ومع أول شعاع للشمس بدأ ينظم أفكاره

أخرج كل أغراضه من الحقيبة وبدأ يفتشها بمنتهى الدقة والتأني وكلما وجد علامة أو ورقة أو كلمة تدل على هويته أو تدل على المكان الذي اشترى منه أغراضه أو أين صنعت ، مزقها ودفنها فى الصحراء بعناية

بعدها خلع ملابسه قطعة قطعة وفتشها مثل الأغراض ونزع منها كل ما يشير إلى المكان الذي صنعت فيه وتخلص منه

مر وقت طويل قبل أن ينتهى من مهمته

توكل على الله..

وبدأ يسير فى الصحراء على غير هدى ، يحاول أن يجد أية علامة أو لوحة عليها أية اشارة

بدأ طعامه ينفذ والماء يقل ، ولا أمل يلوح له فى الأفق

مر يوم .. والثانى .. والثالث..

وكلما نفذ منه شئ دفنه فى الرمال حتى لايجده أحد

انتهى الطعام والماء تماما ، لكنه لم يجد بدا من السير فى الصحراء لعله يجد ما ينقذه

تخفف من حمله ودفن حقيبته وأغراضه المتبقية معه ، ثم الساعة ، ثم النظارة الشمسية ، ولم يبق معه شيء

بدأ جسمه يجف ، وخلع قميصه ووضعه على رأسه ليحميه من الشمس وأجبر نفسه على السير

لكنه انهار من التعب والإعياء والعطش والجوع



سقط على الأرض، ولاح له شبح الهلاك

انهارت مقاومته تماما

وقبل أن يفقد وعيه ، خيل اليه انه يسمع صوت سيارة قادم من بعيد

ضاع من عينيه ضوء النهار، وسقط فى قاع بئر مظلم






(٤)

:: القرد ::

قطرات من الماء البارد المنعش اللذيذ تتساقط على وجهه.، يد ناعمة تمسح على وجهه ، أصوات كثيرة متداخلة ، رجال ونساء يتحدثون بالـ..

العبرية !

أبقى عينيه مغمضتين حتى يستطيع أن يتبين موقفه وما الذي يحدث

صوت رجل يقول بالعبرية : ليليان.حبيبتى لابد أن نرحل .. تأخرنا

ليليان : انتظر موشى.. بدأ يتحرك.لا يمكن أن نتركه فى الصحراء

موشى : حبيبتى..يبدو علي مظهره أنه لص ، أو مجند هارب من أحد معسكرات الجيش القريبة

ابتسم محمد فى نفسه لقد أعجبته الفكرة كثيرا

ليليان : لا يبدو عليه أنه لص

موشى : حبيبتى .. أضعنا وقت طويل فى هذا المكان ، والوقت يعنى المال

لم نتفق على هذا ، لقد اتفقنا أن أوصلك فقط للمدينة



بدأ محمد يفتح عينيه ببطء ..

أول ما رآه ..وجه الفتاة الجميلة التى كانت تمرضه ، كانت ترتدى زى عسكرى

دخل فى الصورة وجه دميم ذو شفاة غليظة وأذنين بارزتين بشكل ملحوظ..

رؤية هذا الوجه أحيت فى قلبه ذكرى من الزمن البعيد

عندما ذهب فى رحلة مع المدرسة الى حديقة الحيوان ووقف أمام إحدى القرود ساعة كاملة

كان الحارس يسميها حسنية

موشى : هل أنت لص ، أو هارب من الجيش ؟

محمد : أنا مجند ، كنت ألعب الورق مع أحد الضباط الكبار فى المعسكر وهزمته فاغتاظ منى واتفق مع قائد المعسكر وسجنونى ، لكنني هربت ، ثم ضللت الطريق وكدت أهلك

أرجوكم لا تبلغوا عنى والا أعادتنى الشرطة للمعسكر ، وعندها سينتقم منى القائد

قضت ليليان طوال الطريق تحاول اقناع موشى بالموافقه على أن يوظف محمد عنده في أى عمل

وأخيرا نجحت عندما أوحت اليه بفكرة أنه يمكن أن يقوم بأعمال كثيره ولا يطلب أجر كبير

وتقبل محمد أقداره بالرضا

وعمل محمد . أو( افرايم حاييم) عند موشى جدعون حمال فى أحد مخازن الطعام

فموشى جدعون هو متعهد توريد الطعام لمعسكرات الجيش فى المنطقة الغربية

كان محمد ، أو افرايم موضوع تحت رقابة مشددة من عمال المخزن حسب تعليمات موشى الذى لم يكن يثق فى إصبع قدمه الصغير

وكان يحبس محمد فى المخزن ليلا حتى لا يهرب أو يقوم بعمل طائش

أما موشى فبدأ يسأل فى كل المعسكرات القريبه من المكان الذى وجد فيه افرايم فعلم أن هناك ثلاثه فروا من ثلاث معسكرات فى نفس التوقيت أحدهم متهم بالسرقة والإعتداء على قائد المعسكر

سعد موشى كثيرا بهذه المعلومات ، فمن وجهة نظره أعطته .خيط جديد يلفه حول رقبة افرايم حتى لا يفلت منه وحتى لا يطلب أى زيادة فى المال

كان عمل افرايم هو نقل الطعام من المخزن الى السيارات الذاهبة للمعسكرات

ومرت فترة طويلة قبل أن يستطيع افرايم أن يكسب بعض ثقة موشي ، بعدها انتقل للعمل كحمّال على إحدى سيارات النقل

ودخل افرايم معسكرات الجيش الإسرائيلى بعد أن تغير شكله كثيرا وطال شعره وذقنه

وبعد أن قام موشى باستخراج بطاقة هوية مزورة له عبر طرقه الخاصة

ومر شهر بعد شهر ، وازدادت ثقة موشى فى افرايم

بعد عام ونصف ..

قرر موشى نقل افرايم للمدينة ليعمل نادل فى مطعمه الكبير في وسط المدينة

أدرك موشى أن افرايم سيجتذب الزبائن للمطعم ويزيد من دخله بسبب وسامته وخفة ظله ولسانه الذى لا يكف عن الكلام والمزاح

ولأول مرة منذ غادر محمد قريته يشعر بشئ من الراحة والرفاهية بعد كل هذا الشقاء

كان المطعم أغلب رواده من قادة الجيش وأسرهم ، فموشى استغل عمله فى معسكرات الجيش ليعلن عن مطعمه فى المدينة

وكان افرايم يقوم بعمله بشكل لافت للإنتباه مما جعله مسار حب وتقدير من كل الزبائن

وكانت ابتسامته المشرقة كفيلة باجتذاب الزبائن ، وازدهر المطعم بسبب افرايم وسعد موشى كثيرا بهذا الإزدهار وشعر أن افرايم كنز لا يمكن أن يفرط فيه

فافرايم يوفر له أجرة أكثر من عامل فهو يعمل كساقي ويقدم الطلبات ويأخذ الحساب وبعد العمل يساعد فى غسيل الصحون وتنظيف المطعم



(٥)

:: الحى العربى ::

وفى أحد الأيام بعد منتصف الليل ورواد المطعم قليلون ، وقد غادر أغلبهم ، وغادر أيضا زميله فى العمل مبكرا للقاء صديقته

دخل شاب منظره غريب وحركاته مريبة الى المطعم ، كان يترنخ كما لو كان سكران ، وجلس الى منضدة في ركن بعيد عن الباب وطلب كوبا من العصير ، وقدم إليه افرايم العصير رغم شعوره بالقلق تجاهه

بعد قليل دخل أحد رجال الشرطة وسأل افرايم : هل رأيت شاب مصاب يجرى من هنا ؟

افرايم : لا ، لم أر أحدا .. ماذا حدث ؟

الشرطى : أحد المخربين ألقى قنبلة على سيارة قائد في الجيش ، و رجال الشرطة أطلقوا عليه النار وأصابوه

لكنه استطاع أن يهرب رغم الإصابة

افرايم : رجال الشرطة يقومون بعمل صعب ..هل تريد شرابا ؟

رحل الشرطى بعد أن شكر افرايم



بعدها ذهب افرايم للشاب الذى لم يستطع الشرطى رؤيته لأنه يجلس فى ركن بعيد

أخرج الشاب بعض النقود وحاول إعطائها لإفرايم

لكن رأسه هوت على المنضدة التى أمامه ، وفقد الوعي

صدق احساس افرايم وشعر بأنه مقبل على ورطة كبيرة ، فأغلق المطعم قبل موعده بدقائق وحمل الشاب على كتفه وخرج من الباب الخلفى للمطبخ ووضعه داخل سيارة لنقل الخضر عليها شعار المطعم وغطاه جيدا ، ومر بين رجال الشرطة دون أن يتعرض له أحد أو يرتاب فيه

سار بالسيارة مسافة كبيرة حتى وصل إلى الحى العربى

أوقف السيارة بعيدا ، وحمل الشاب على كتفه وسار به مسافة كبيرة حتى تعب

وضعه على الأرض وجلس بجواره يلتقط أنفاسه

لم يكن فى المنطقه أحد ، وبدأ الشاب يفيق قليلا ، وعندما فتح عينيه ، ونظر فى وجه افرايم

أطلق صرخة مدوية أفزعت افرايم وجعلته يقفز من مكانه

وضع افرايم يده على فم الشاب محاولا ايقاف صراخه قبل أن يستيقظ الناس ، لكن الأنوار بدأت تضاء فى البيوت القريبة ، وأدرك افرايم الموقف برمته

شاب عربي مصاب ويصرخ وأمامه شاب يلبس الطاقية اليهودية كل هذا كفيل بشرح الموقف دون كلام لمن لا يفهم

بدأت الأبواب تفتح و الناس يتوافدون وهو لا يدرى ماذا يفعل

وشعر افرايم بالرعب ، فصرخ فى وجه الشاب بغيظ : آه يا ندل

أطلق افرايم قدميه للرياح عندما وجد الناس يهرولون خلفه وكل منهم يحمل سلاح مختلف عصى ، سكين ، ساطور ، وأشياء أخرى

ظل افرايم يجرى بكل قوته حتى أصابته قذيفة حجرية موجهه فى رأسه كادت تسقطه أرضا تمالك نفسه حتى وصل الى السيارة أخيرا وهرب بها

ضغط افرايم على أسنانه بغيظ وهو يحاول إيقاف الدم من رأسه وقال لنفسه : بقالى سنتين عايش وسط القرود محدش فيهم قدر يمد صباع عليا ، ومانضربش الا من العرب !

كله من الندل ده ، كان هايودينى فى داهيه

ومرت فترة طويلة على هذه الحادثة حتى ان افرايم نسيها



(٦)

فى صباح أحد الأيام ..

كان افرايم يمارس عمله كما تعود ، وعلى أنغام أغنية شبابية صاخبة لأشهر مطرب فى اسرائيل كان يحرك قدميه ، ويحمل الصينية بين يديه والأطباق بطريقة بهلوانية راقصة تعشقها الزبائن وترسم على وجوههم البسمة قبل أن يتجهوا لعملهم

خرج من باب المطبخ الخلفى ليلقى بعض القمامة ، لكنه توقف فجأة عندما شاهد إحدى سيارات الشرطة تقف بطريقة غريبة وتسد مدخل الشارع الضيق

اتجه اليها بفضول شديد ، لم يجد فيها أحد في مقعد القيادة ، وكانت السيارة محكمة الغلق فجأة ..

أطل وجه طفل (فى حوالى العاشرة) من نافذة السيارة المغلقة

ارتد افرايم للخلف من الدهشة والمفاجأة وسأل نفسه :حاجة غريبه ! هو ايه اللى بيحصل هنا بالظبط ؟

كانت عينا الطفل الفلسطينى الدامعتين تدعوه بشدة لتحريره من سيارة الشرطة

خمن افرايم أنه قد اعتقل فى مظاهرة أو ما شابه



عاد للخلف وبحث فى الشارع جيدا حتى اطمئن أنه لا أحد هناك ، ثم عاد للمطبخ بسرعة واطمئن أن زميله مشغول مع الزبائن ، ثم فتح أحد الأدراج وأخذ عتلة وخرج مسرعا الى مكان السيارة

كان الوضع كما هو ، اطمئن من جديد أن الشارع خالى تماما

بعد جهد ..استطاع فتح السيارة بالعتلة ، فخرج الطفل يجرى وعندما أصبح فى نهاية الشارع ، التفت وقذف بحجر فى وجه افرايم الذى قفز بدهشة ليتفادى الحجر ، ثم هتف بسخط : يابن الـ .. الناس الطيبين

ظل افرايم يفكر فى تلك الحادثة الغريبة والغير منطقية والتى أعادت اليه ذكرى الحادثة السابقة ، وأخذ يحادث نفسه : الله يخرب بيتك يا محمد ، شكلك كده هاتودى نفسك فى داهية ، لا زم تركز شوية ، وبلاش العواطف اللى تودى لحبل المشنقة دي، انت نسيت انت جي هنا علشان إيه؟ لازم تركز عشان تخلص

مر أسبوعان لم يحدث خلالهما شئ ..

وفي أحد الأيام ..



بعد أن أنهى أحد الزبائن غداءه أعطى افرايم الحساب وغادر ، عد افرايم المال كعادته لكنه فوجئ بورقة نقدية زائدة وسط المال مكتوب عليها بالعربية : ( الليلة ، بعد أن تغلق المطعم اذهب الى هذا العنوان (.....)

يجب أن تأتى ، لن تندم، واحرص جيدا على ألا يتبعك أحد

ولا تنسى أن تحرق هذه الورقة بعد قراءتها مباشرة)

أصيب افرايم بالذهول ولم يدر ماذا يفعل

أخفى الورقة بسرعة عندما سمع صوت زميله قادم ، ثم حمل الصحون واتجه للمطبخ

أحرق الورقة المكتوب عليها الرسالة ، وقضى النهار وذهنه مشغول بما حدث كان مترددا فى الذهاب ترى هل هى لعبة؟ هل كشفه أحد ؟هل يشكون فى أمره؟

بعد انتهاء العمل بعد منتصف الليل ، أغلق المطعم مع زميله ، ثم رحل زميله مثل كل يوم.

أما افرايم فكان ينام داخل المطعم حيث أنه الى الآن لا يمتلك بيتا

تأكد تماما من رحيل زميله ، وبطبيعته الفضولية المجازفة حسم أمره أخيرا وقرر الذهاب

بعد أن قال لنفسه : ها يسخطوك ياقرد قال هايعملونى ايه!!

خرج من باب المطبخ بعد أن غير قليلا من هيئته زيادة فى الحرص واحطاط تماما لألا يتبعه أحد

أخيرا وصل الى العنوان

رفع يده ليطرق الباب ..فُتح الباب فجأه قبل أن تلمسه يده

دخل بسرعة وخرج الشخص الذى فتح له ينظر يمينا ويسارا ليتأكد من أن لا أحدا يتبعه ، ثم دخل وأغلق الباب

تأمل افرايم الشقة الفاخرة الواسعة التى دخلها ، بعد ذلك قاده الرجل الذى فتح الباب الى حجرة بها مكتب كبير يجلس خلفه رجل كهل ..

عرفه افرايم من أول وهلة ، فقال بالعبرية : أنت !! نعم أنت..أنت زبون المطعم ، منذ شهرين وأنت تأتى كل يوم فى الصباح تقرأ الجريدة وتشرب القهوة يوميا

قام الرجل المهيب من خلف المكتب ليسلم على افرايم وقال بالعربية :

هلا بيك ، بدى أتعرف عليك من زمان

قال افرايم بشئ من التخابث التمثيلي : هه .. أنت عربى !! أين أنا ؟ وماذا تريدون منى ؟ اليس هذا موعد غرامى ؟

ابتسم الرجل وضغظ زرا على مكتبه ، بعدها بثوانى دخل اثنان عرفهما افرايم على الفور

أحدهما الشاب المصاب الذي حمله على كتفه ، والثانى الطفل سجين سيارة الشرطة!

أصبح الأمر واضح الآن

افرايم بدهشة : مين ! الندل وصبيه؟

الرجل الكبير بدهشة : مصرى !! هلأ اتطمنت ؟

افرايم : لأ ، انتوا مين بالظبط ؟ وعملتوا كده ليه؟

الرجل الكبير : اسمى حمزة ، لما زياد حكالي إنك أنقذته ونقلته للحي العربي

افرايم مقاطعا وهو ينظر لزياد : أيوه ، واستندل معايا جدا

حمزة وهو يبتسم : هو كان شبه فاقد الوعى ومش حاسس باشي

وقت عرفت باللي صار ، قررت أراقبك ولما اتطمنتلك .. كان لازم اعملك هيكا امتحان صغير .. وبعتلك ياسر

افرايم : آآآه ، يعنى كانت تمثيلية ، ورماني بطوبة فى وشي

حمزة : ماهو كنا بدنا نستفزك و نعرف مين انت وشو بتسوي هان ؟

افرايم : ماشى يا زعيم ..ممكن أعرف انتوا مين بالظبط؟

حمزه : حنا من المقاومة



افرايم بفرح : يااه أخيرا وصلت !! دانا بقالى سنتين بدور عليكوا

أجلسه حمزة وصرف ياسر الصغير وبقى زياد

حمزة : احكى لى حكايتك ، مين انت..وليش اجيت عفلسطين؟؟

حكى له افرايم القصة من البداية الى الآن...

تبعها فترة صمت طويلة ...كان حمزة يفكر فيما سمعه

حمزه : ما حكيتلي ؟ ليش تركت وطنك وجيت عنا؟

فكر محمد قليلا ثم قال ببطء واهتمام : بصراحة بصراحة ..جيت أعزم أبويا على فرحي

أصلى عقبال عندكم جميعا هاتجوز ، زينب بنت الحاج اسماعين خليفة ، راجل انما ايه .. حتة سكرة

قلت آجى أعزم أبويا على فرح ابنه الوحيد بدل ماهو قاعد هنا لوحده ، بالمرة ييجي يفرح معانا.. وأهو كله بثوابه

قال حمزة بشئ من الحزم : ليش اجيت عافلسطين؟

بلع محمد ريقه ، واقترب من اذن الرجل وقال : أصل ، أصل عاوز أبقى من المجاورين

الرجل بدهشة : شو ؟





محمد يكمل بسرعة : أصل أمى قالت لى إن الصلاة هنا بخمسميت صلاة من اللى عندنا فى جامع بلدنا.قلت أما آجى أصلـ..

أسكته حمزة بغضب صارم : شو جابك هان؟

قال محمد: مانا جبت لسيادتك من الآخر وحضرتك ما صدقتنيش

قال حمزة : وايش هو الآخر

محمد بمنتهى الجدية وبلهجة صادقة تماما: عاوز أرجّع أبويا

الرجل باهتمام : مين أبوك ؟

محمد : السيد طه حسن الشرقاوي

أسير مصرى في سجون الصهاينة من عشرين سنة

ارتفع حاجبا حمزة بدهشة شديدة ، وصمت تماما ولم يرد



(٧)

::الأسير::

مر حمزة بعينيه على السطور التي أمامه وارتسمت الدهشة على وجهه ، ثم أضاءت ملامحه ابتسامة اعجاب كبيرة : كل اللي حكاه صحيح!

قال ابو أيمن : نعم صحيح ، وهاد اللى موثق بالتقارير والأخبار

حمزة : وابنه اجى هان بعد كل هالسنين!!

قال بلهفة : والصورة ؟

يشير أبو أيمن الى صوره فوتوغرافيه لمحمد بين الأوراق

يبتسم حمزه بارتياح : هوا.. اه هوا

أبو أيمن : كيف وصل لعندكم ؟

حمزه : قدرا ، بتوفيق من الله ، جمعنا بيه وهادا اللى خلاني أطلب كل المعلومات بسرعة

والله اشي غريب ...غريب كتير !

سبعة عشر ضابط صهيوني!!

أبو أيمن : هادا اللى بتقوله أوراق المحاكمة



حمزة : هاجم الباص وحده!!

أبو أيمن : اها ، عبر الحدود وقام بالعملية وحده ، وبعدها أسروه

ليش! وشو هو السبب اللى يخلي جندي بيقضي فترة خدمته يعبر الحدود ، ويقوم بعملية استشهادية ، في الصهاينة!!

أبو أيمن : الغيرة عالدين وشرف الوطن

حمزة : والله إله ألف حق

كل هدول شهدا بعيلته ؟!

أبو أيمن : فى القريه عندهم .الناس بتسميهم عيلة الشهدا

يقرأ حمزة الورق بصوت عال

خليل الشرقاوي .. متطوع في حرب ٤٨ وشهيد

طه حسن الشرقاوى ومحمد حسن الشرقاوى

وحسين سالم حجازى مجندين فى حرب ٦٧

عاد طه ..ومحمد وحسين شهيدين

ينظر حمزه الى أبو أيمن بتساؤل ؟؟



أبو أيمن : حسين زوج اختهم ..خديجه حسن الشرقاوى

يكمل حمزة : أحمد يس حسن الشرقاوى حرب ٧٣ ،شهيد

ثم الأب ، السيد طه حسن الشرقاوي ... أسير!!

حمزه باستغراب : عم بيدور عليه !!

يطوى حمزه الورق : ما شفت أغرب من هالعيله

أبو أيمن : عيله بطونها ما بتجيب الا شهدا ومجاهدين

راضعين القضيه جيل ورا جيل

حمزه : هيك بيكون اللى عمله اشي طبيعي ومفهوم

بس شكله ... شكله بيدلش عاشي من هاد

أبو أيمن باهتمام : كيف شكله !!

حمزه بتردد : بعرفش ...لص ..محتال ..عونطجى ايش ما بيحكوا بمصر

أبو أيمن بعد فترة صمت طويلة : وناوي على ايش؟

بتساعده؟

حمزه : هدفنا هدفه ، لكن الموضوع مش سهل ..ومحتاج خطة وتدريب كتير



أبو أيمن : بفكر انه بيحتاج يشوف ابراهيم منصور

حمزه : بشوف انه يقابله بعد التدريب ، هيك بيكون أفضل

أبو أيمن : متل ما بدك

ابدأ التدريب على بركة الله ، وفي انتظار النتيجة

.......................................

دخل محمد مكتب حمزه بصخب شديد المرح وهو يفتح ذراعيه عن آخرهما

محمد : عم حمزة.......... عم حاااااامزة

عم الكل.......عم الناس الحلوين

(نظر لزياد المتجهم دائما نظرة متوعدة وهو يكمل )

الحلوين وبس

ضحك حمزة من أسلوب محمد الذى يخطف القلوب

سلم عليه واحتضنه وأجلسه بجانبه

محمد : ايه ده..ايه يا عمنا ده !

دانا افتكرتكوا دلقتوني..



أسبوع !! أسبوع بحاله سايبينى فى المدعوق ده ! الله الوكيل دانا حمضت هناك

هو أنا جي هنا علشان أبقى يهودى ولا ايه !!

حمزة : ماقلتلك لازم تصبر .. وتنفذ الأوامر

محمد يتنهد بضيق : ماشى يا عمنا..تحت أمرك

حمزة : هلقيت رح تبدأوا التدريب

بس .. قبل بدي أسألك سؤال راح يتوقف عليه أشياء كتير

انت جيت هان حتى ترجع أبوك بس .. واللا بدك تنضم للمقاومة ؟

محمد : لاتنين.. شوف يا عمنا ..أنا عارف ان حكاية أبويا دى مش سهلة لكن هاوصله .

أكيد هاوصله

لكن بعد قد ايه ؟ الله أعلم

ولحد ما الاقيه أنا معاكوا

حمزة : يعنى.. فش خوف ؟

محمد : خوف مين يا عم ..خليها على الله

دانت بس لو تسيبنى عليهم ..كنت ألبسهم طرح



حمزة : طيب ، منيح ..تبدأوا التدريب على بركة الله

محمد : احنا مين ؟

حمزة : انت وزياد

ظهر على وجهه أثر المفاجأة فصاح : الندل !!

ضغط حمزة حروف كلماته: انت ..و زياد..سوا

بعد رحيل محمد استوقف حمزة زياد الغاضب : زياد

شو مالك! بدكاش تتدرب مع محمد ؟

يحرك زياد رأسه بعدم الموافقة وينظر بعيدا وهوغاضب

اقترب منه حمزة ووضع يده على كتفه :

زياد ..محمد زلمة طيب وبدو يكون معنا

زياد : بدوش يكون معنا.بدو ينجح بمهمته ويرجع لبلده

يؤكد بلهجه ذات معنى : ويرجع لبلده



(٨)

:: وبدأ التدريب ::

فى الساحة الكبيرة المخصصة للتدريب فى مركز المقاومة السري البعيد عن الأعين البشرية والإلكترونية ، رُسمت دائرة كبيرة على الأرض ومحمد وزياد يقفان على أطرافها مرتديان ملابس التدريب

ومحمد يعلم زياد الكنغ فو

وقف زياد فى مواجهة محمد وعيناه مملوءتان بالتحدى والإستفزاز الشديد

بدأ محمد الضربة الأولى وتوقفت قبضته على بعد سنتيمتر من بطن زياد ..

جاوبه زياد بحركة أخرى موجهة لفك محمد، الا أن يده لم تتوقف وأكملت طريقها الى فكه فآلمته بشده

محمد : آآآآآآآآآآآآيييييي

ايه ده؟ انت بتضرب بجد يله !!

زياد بكراهية ظاهرة : ايش ؟هاتبكى ؟هادا تدريب زلام مش ولاد صغار

محمد بغيظ : الله الوكيل من ساعة ما شوفتك وانت عاملى كالو فى نافوخى



جرى ايه يله !! مش مستنضفنى ليه؟ داحنا زملا فى خندق واحد

زياد : عمرنا ما حنكون بخندق واحد

احنا بالخندق ..بس انتوا فوق.واللى بيشوف النار مش زى اللى بينحرق فيها

محمد بمنتهى الجدية وهو يدور ببطء حول الدائرة مواجها زياد متحفزا لأى حركة مفاجئة يقوم بها : كلنا زى بعض ..النار حوالينا من كل حتة

واللى ماطالطوش النار النهاردة بكرة ينحرق بيها

زياد وهو يدور حول الدائرة ويضغط قبضتيه بغضب واضح: كلام ..كلام..كلام..

بناخدش منكو غير الكلام

انتوا تحكوا وتتفاوضوا ، وحنا نندبح..وبعدين.... تحكوا

فيش حدا واقف معانا..فيش حدا حاسس فينا

وجه له ضربة مفاجئة تفاداها محمد ببراعة

محمد :ايه ده بتاخدنى على خوانه ؟

يابني مانا جي معاكوا أهه وايدى بإيدكوا

وجه زياد له ضربة ثانية أكثر استفزازا وهو يقول: لغرض فى نفس يعقوب



ما حدا بيدافع عن الأرض الا أصحابها

محمد بغيظ : انت عنصرى ياض !! الله الوكيل انت عنصرى

تكونش فاكر انها أرضك لوحدك!!

ركله محمد بطريقة فنية في ركبته من الخلف ، فسقط زياد وهو يتأوه

محمد بغضب ظاهر : الأرض دى شربت من دم أهلى واحد واحد..ابوجدى استشهد فيها ، وأولاده حاربوا واستشهدوا عشان فلسطين

زياد باستفزاز صارخا وهو يضربه بعنف: عشان سينا مش فلسطين

طار محمد متفاديا الضربة ببراعة : ما تفرقش ..شوية حبر أحمر ادلقوا على ورق قديم مهرى.بينخر فيه السوس من سنين

الورق ده خلاني تهت فى الصحرا ٣ أيام ...

وفى الآخر..

بقيت افرايم

قال الكلمة الأخيرة وضربه بغيظ فى معدته

أمسك زياد بطنه : آآآآآآآآهه



ثم نظر اليه بمقت شديد وقال :

مهما سويت ..عمرك ما هاتكون من ها الأرض

يا..يا افرايم

صرخ محمد بهستريا وهجم عليه وأسقطه أرضا وركب فوقه وأخذ يضربه بشدة

وهو يقول بغل : ياض شيل الجزمة اللى في دماغك دي لأروح فيك تأبيدة

توقف فجأة عندما سمع صرخة غضب رهيبة من حمزة :

مـــــــحـــــــــمــــــــد

يقف الإثنان أمامه صامتين

حمزة بغضب : كنت بفكركوا زلام ..بس..واضح انوا ناقصكوا حاجات كتير لتكونوا زلام عن جد

شايفين كومة الأحجار هدلاك .. بدنا نبنى سور حولين الملعب

راح تنقلوهم من هون لآخر الملعب ..الحين

نظر محمد لبعد المسافة بين كومة الأحجار وآخر الملعب فصدمه حجم الحجر الواحد

يانهار اسود..



استغرق فى بكاء تمثيلى :

لا..أحب على راسك ..بلاش أشغال .. خليها حبس بس

قتل حمزة شبح ابتسامة كادت تفلت منه وقال بصرامة : بقلكوا الحين

وقف سعد (مسئول التدريب عن محمد وزياد) يراقبهما صامتا من وراء زجاج الحجرة المطلة على الملعب وبجانبه حمزة

هز سعد رأسه بأسف :

ما بعرف .. ليش جمعتهم بتدريب واحد؟!

اجراء بغير محله

الأثنين مثل النار والماء بيجتمعوش

حتى التأديب ..بيعرفوش كيف يعملوه

المفروض الإتنين يحملوا حجر..حجر وينقلوه سوا

حمزة : عارفين مضبوط الغرض من التأديب ..بس..عناد.! الإثنين أعند من بعض

سعد : بدكاش تغير رأيك ؟ الفكره فاشلة!

يبتعد عن النافذة بضيق



ويبقى حمزة يراقبهما باهتمام وصمت

سقط الإثنان على كومة الأحجار منهكين وأخذ صدرهما يعلو ويهبط بشده

محمد : آآآآآه ..ياآآآآآآه ..ايه ده ..منتهى الإفترا

بقولك ايه..كده مش هانخلص فى سنتنا .أحسن حاجة ننقلهم سوا

زياد وهو يشيح بوجهه بعيدا : بديش ..

محمد مغتاظا : تصدق بالله..دا أنا مصرانى الغليظ مش طايقك ، بس هاعمل ايه اللهم لا اعتراض

يلا ..يلا..خلينا نخلص

أخيرا .. قام زياد معه ونقلوا بقية الأحجار فى زمن قليل

مازال حمزة يراقبهما .. ثم بدأت ابتسامة تظهر على وجهه وظلت تكبر وتكبر حتى ملأت كل وجهه

هز رأسه برضا ..وأسدل الستائر



(٩)

:: العملية ::

بعد مدة من الزمن ..

اجتاز محمد وزياد فترة التدريب بصعوبة شديدة ، ليس بسبب قلة المهارة ..لكن بسبب مشاحناتهما المستمرة وشجارهما الدائم الذى كان يوقعهما كثيرا فى التأديب والعقاب

فاستغرق الأمر منهما ضعف ما يستغرقه الشباب الآخرين

وحانت لحظة الخروج لأول عملية

حمزة : هاى العملية كتير مهمة

بدنا نخطف كولونيل بجيش الصهاينة حتى نبادله بأسرى بالسجون الإسرائيلية

٣ من شبابنا المحترفين راح ينفذوا العملية

مهمتكم : واحد راح يسوق السيارة

الأثنان بسرعة وفى صوت واحد : أنــــــــا

نظر كل منهما للآخر شذرا

ونظر حمزة اليهما ثم أكمل : الثانى راح ينقل الأغراض والأسلحة



الإثنان معا : هوّ

نظر حمزة اليهما وتنهد بضيق : واحد راح يكون قريب من الثلاثة ليراقب الموقف

الإثنان : أنـــــــا

حمزة بضيق : الثانى راح يكون فى الخلف يراقب المؤخرة

الإثنان معا : هوّ

حمزة : وبالرجعة واحد راح يقيد الكلونيل وما ينسى يغطى عينيه

الإثنان : أنـــــــا

يزداد ضيق حمزة : الثانى راح يكون في الخلف يراقب المؤخرة

الإثنان : هوّ

ألقى حمزة القلم من يده على المنضدة بغضب وأخذ يقلب عينيه بين الإثنين

بعد عدة ساعات ..

أخذ حمزة يدور فى الغرفة كالليث الغاضب ..ووقف محمد وزياد أمامه مطأطأي الرأس فى خجل

حمزة بصوت كالرعد وهو يرغي ويزبد :



ايش هاد .. كتيير ..

أطفال !! أنا باتعامل مع أطفال

بعد كل هادا التدريب .. ما اتعلمتوا اشي !! وبسببكوا فشلت المهمة

محمد بصوت خفيض يقطر منه الأسف :

الرصاصة طلعت غصب عنى..كانت غلطة ..

اشتعل حمزة غضبا : غلطة ولا جريمة ؟

الخطأ وارد بالتدريب ..لكن بمهمة ميدانية !!

لو كنتوا بالجيش كان زمانكوا اتحولتوا لمحاكمة عسكرية

بعرفش ايش أسوي فيكم ؟

زياد : نفترق وكل ..

قاطعه حمزة بغضب شديد : تفتحش تمك ..أنا هان اللى بعطى الأوامر ..وانت بتنفذ

راح بعلمك كيف تطيع الأوامر ..

لما صدرت أوامر قائد المجموعة بالإنسحاب ..ليش مانفذت؟

زياد : كان بدي ..



حمزة بغضب : حدش هان بدو كلنا بنطيع الأوامر

هلقيت..را ح تنقلوا الأحجار من أول الملعب لآخره أربع مرات وتنتهوا قبل صلاة الفجر، وبعدها بيروح محمد لعمله بالمطعم

نظر محمد الى كومة الحجارة ثم صرخ بطريقة هستيرية وألقى بنفسه على الأرض وأخذ ينتفض ويتشنج كمن صعقته الكهرباء

خرجت ابتسامة على شفتي حمزة رغما عنه ثم قال بعد فترة صمت : هلقيت ....ندمانين على عملتكوا

وقف محمد بجوار زياد وردد معه : نعم ...

زفر حمزة : بتكرروهاش ؟

الإثنان : نعم ..

حمزة : بتطيعوا الأوامر ؟

الإثنان : نعم ..

حمزة : منيح ..سامحتكوا

تنهد الإثنان براحة

أردف حمزة : بس.. بتنفذوا التأديب

تلقى الإثنان الصدمة فى ذهول

هذه المرة كان نقل الأحجار أسهل بعد أن اعتاد الإثنان عليه من كثرة ما قاموا به

محمد وهو يضحك بغيظ : الله الوكيل عم حمزة ده حكاية !!

شكله كده جايب لنا الطوب ده مخصوص علشانا

هو مفيش غيرنا هنا ولا ايه!

نظر لزياد الصامت دائما وقال بضيق : أمر الله !! بلوة واتحدفت عليا

أسيب أبو الهول فى مصر آجي ألاقيه هنا

زياد : ايش ؟

محمد وهو يبتسم بغيظ : ولا حاجة ..بكلم نفسى

بعد تلك التجربة الفاشلة..استمر محمد وزياد فى الخروج للمهمات الميدانية الناجحة ، وتعلم كل منهما كيف ينفذ الأوامر و يتعاون مع شريكه ..تلك الشراكة التى فرضها عليهما حمزة رغم أنفيهما

حتى اطمأن حمزه تماما لمهارتهما



ثم بدأ يعد العدة للقاء المرتقب ، ذلك اللقاء الذي سيكون بمثابة مفاجأة كبيرة لمحمد






(١٠)

:: العودة للماضي ::

دخل محمد الى حجرة الاجتماعات وكان بانتظاره حمزة وزياد وسعد واثنان آخران لا يعرفهما

قام حمزه بمهمة التعارف

ابراهيم منصور  وأبو أيمن

محمد وهو يصافحهما: أهلا وسهلا  .. نهارنا فل بالصلاة عالنبي

جلس محمد وهو يكمل : متجمعين في الحرم ان شاء الله ،  ويا ترى اللمة دي عشان عملية جديدة ولا عشان حاجة تانية؟

حمزة بابتسامة : هيك وهيك

نظر له محمد بلهفة : ايه !! قربنا ولا ايه!

ابتسم حمزة : هيدا بيتوقف على مدى استفادتك من التدريب

محمد : اتكل على الله انت بس ، وبعون الله هتشوف العجب

أبو أيمن : بدنا نعرف قبل ، كيف عرفت ان والدك أسير؟ مين بلغكوا بالخبر؟

محمد : جدي



أبو أيمن : جدك!!

ابتسم محمد : جدي حكالي ان عبد التواب دفعة أبويا وزميله جالنا البيت في أول أجازة عشان يبلغه وصية أبويا ويحكيله اللى حصل

هز أبو أيمن رأسه واستمع بإنصات لمحمد وهو يحكي : قبل اللى حصل بليلتين في الكتيبة ، صحي عبد التواب من النوم على صوت أبويا وهو بيتكلم مع رجب زميلهم في العنبر : متخافش يارجب ، ولا يقدروا يعملوا حاجة

نزلهم عبد التواب من على السرير اللى فوقهم : خبركوا ايه في الليلة دي !!

مش عارف انام من صوتكوا

وانت ياسي رجب ، انتا لسه في الموال ده!! ما قلت لك اعمل نفسك موش شايف

رجب بضيق : دمي بيغلي وبتحرق كل يوم يا عابتواب ، أعمل نفسي مش شايف ايه ولا ايه بس !! الحركات السافلة اللى بتعملها نسوانهم بالقصد قدامي !! ولا الظابط اللى في الحراسة اللى كل شوية يرفع سلاحه وينشن على راسي ويعمل نفسه بيقتلني

السيد بصرامة : قلت لك متخافش يا رجب ، دا تمامهم ، بيستفزونا بسفالتهم من حرقتهم مننا



رجب : بالله عليك ياسيد تبقى تخليك متابعني بالمنظار كل شوية ، قلبي حاسس ان الظابط ده مش ناوي يجيبها البر

عبد التواب : ما خلاص بقى يا رجب و خلينا نعدي الكام شهر اللى فاضلينلنا على خير ، أما تلاقيهم بيستفزوك ولا بيعملوا حركات ابقى دور وشك يا أخي

تاني يوم وهمه رايحين يتوزعوا عالخدمة كان رجب لسه قلقان والسيد بيطمنه : متقلقش يا رجب هخلي عيني عليك

وكان السيد قد القول ، وكل شوية يتطمن عليه بالمنظار

في اليوم ده الريح كانت شديدة طيرت العلم بتاعنا من فوق العمود ونزل عندهم والظابط اياه ساب الحراسة ونزل له مخصوص وخده ومسح بيه جزمته وقعد يعمل بيه حركات سافلة قدام رجب اللى رفع سلاحه وضرب طلقتين في الهوا يمكن يهده ويبطل اللى بيعمله لكن الظابط متهدش ورفع سلاحه ، بس المرة دي مكانش تهويش

كان في راس رجب

السيد لما شاف اللى حصل، ضرب نار عالظابط الاسرائيلي وهو بيجري عشان يلحق رجب ، بس كانت المسافة بعيدة معرفش يصيبه ، وعلى ما وصل السيد لرجب كان دمه اتصفى ، وشاله ورجع بيه الكتيبة

في الليلة دي السيد كان بيستعد وبيحضر سلاحه ، ولما عبد التواب سأله ناوي على ايه ، قال : رايح آخد تار رجب

عبد التواب : انت اتجنيت في عقلك!! دانت لسه عريس جديد وفاضلك شهرين وتخرج نهائي

بلاش عشان خاطر عروستك ، عشان خاطر أبوك

قاله وهو بيغلي : وعزة جلال الله دم رجب ما يروح هدر ابدا ، دمه في رقبتي .. سامع؟ في رقبتي

كل اللى طالبه منك انك في أول أجازة تروح لأبويا وتقوله عاللى حصل

عبد التواب : خبرك ايه يا سيد!! دا كلام ده!! عاوزني أقول لأبوك راح فين؟

قوله راح يبوس لاعتاب .. ويصلي ركعتين في الأقصى

أخذ محمد نفس عميق ، ثم قال : عنها ومن ساعتها مرجعش ، وبعدها بمدة جدي عرف خبر العملية اللى عملها وانهم أسروه فيها

ابتسم أبو أيمن : التقارير بتقول إن والدك هاجم باص عسكري لحاله

نصب لهم كمين ورا صخرة بعد الفجر وانتظر بس مر الباص وفتح عليهم النار ، وقتل السواق ، وبعدها هاجم الباص وقتل منهم ١٧ والباقي مصابين

واضح ان زمايله ما قصروا معاه في الذخيرة حتى يهاجم كل ها العدد

محمد : وحتى لو مكانوش ساعدوه ،كان اتصرف ، دا أبويا وأنا عارفه

ابتسم حمزة من كلماته ، وتحدث ابراهيم : وهادا نفس اللى قالوا لما قابلته في السجن

التفت اليه محمد وعلى وجهه امارات الدهشة من المفاجأة ، وأنصت اليه بلهفة وهو يقول :

لو ما كانوش عطوني الذخيرة كنت اتصرفت

أشار له محمد وقال بلهفة : هو حضرتك كنت !!

هز ابراهيم رأسه مؤكدا : كنت أسير في نفس السجن ، وقدرت أهرب أنا وخمسة من رفقاتي

محمد بتساؤل : وهو ليه مهربش

رد أبو أيمن : فيه مجموعة معينة من الأسرى المصريين اسرائيل مهتمة فيهم بشكل خاص وبتعتبرهم من السجناء الخطرين

لدرجة انها بتفصّلهم سجون مخصوصة

كان محمد يستمع باهتمام شديد لأبو أيمن : كان فيه محاولات للهروب لكن للأسف فشلت ، حتى محاولاتنا لتهريب أسرانا فشلت



محمد : ليه ؟

أبو أيمن : لأن الإسرائليين ما بيلعبوا

وكل ما يكتشفوا اى محاولة للهروب.ينقلوا الأسرى لمكان تانى ..

عقد محمد حاجبيه وظهر على وجهه الإحباط وقال كمن يحادث نفسه: وانا بقى اللى هانجح !!

حمزة مشجعا : أكيد بتنجح ، ثقتي فيك كبيرة

حاول محمد استعادة ثباته فقال بمرح : ياالله ..يمكن يسجنونى مع أبويا فى زنزانة واحدة

أبو أيمن بصدق مؤلم : أو يعدموك..

ابتلع محمد ريقه بصعوبة : طيب..أنا بس كان نفسى أتجوز بنت الحاج اسماعين خليفة قبل ما أموت

ضج المكان بالضحك الشديد لعبارته المازحة

ابراهيم باسما : بتشبه والدك في أسلوب كلامه ، دمك خفيف كتير



تعلقت عينا محمد  به وهو يحكي له عن والده الأسير : لما عرفت انه موجود بنفس السجن وعرفت حكايته   ، كان عندي فضول شديد انى أقابل المصري بطل عملية الباص العسكري

لكن كانت الاجراءات ضد هالمجموعة من الاسرى المصريين مشددة وغير مسموح الهم بالاختلاط بالأسرى الفلسطينين ، و ضده هو أشد ، كان متمرد وما بيقبل الأوامر  من الصهاينة ، وكان أغلب الوقت في العزل الانفرادي

وبخطة محكمة وضعها الاخوة في السجن ، وبعد صبر طويل قابلته خمس دقائق

وكان يهمنى أسمع اجابة عن سؤال كان بيحيرني في ها الوقت : ليش قام بها العملية رغم ان فيه اتفاقيات ومعاهدات دولية وسلام بين مصر واسرائيل ؟

رد عليّ بها الطريقة : سلام!!

قال سلام قال ! سلام مربع يا جدع

سلام ايه ده اللى يخلي جنودهم يلعبوا على راسنا النشان

سلام ايه اللى يخلى واحد زي رجب يشوف علم بلده بيتهان وكرامتها بتنداس ويضطر يسكت ويكتم غيظه عشان  يخلص جيشه ويروح بلده يتجوز ويعيش



وفي الآخر يموت برصاصة من صهيوني نجس يترقى وياخد نيشان عشان قتل جندي مصري

السلام ده كلام جرايد ، لكن الحقيقة هي ان الحرب بينا وبينهم هاتفضل لحد ما نخلّص الدنيا من شرهم ونرجّع اللى سرقوه مننا

ساعتها بس ممكن نعيش في سلام

رفع محمد عينيه المملوءتين بالدموع ..وابتسم بفخر وحنين

وقال وهو يتنهد : ها .. هانعمل ايه ؟

فتح أبو أيمن خريطة معه ووضعها أمامهم على المنضدة وهو يقول :

معلوماتنا بتقول ان المجموعة دى بالذات اتنقلت من أربع سنين لسجن جديد بنوهولهم مخصوص فى قلب الصحّرا ونظام الحراسة بتاعه حديث ومعقد جدا

دا طبعا بسبب آخر محاولة تهريب حاولناها وفشلت

محمد : خرايط تاااانى ..اوعى تكون مغشوشة

ابتسم أبو أيمن : لا ماتخافش ..المعلومات دى مؤكدة

السجن ده من الصعب جدا اقتحامه



دا غير انه فيه أحدث وأشرس وسائل التعذيب الرهيبة

علشان كده سموه ..اللهب

ومهمتك هى انك تدخل ..

قلب اللهب

بس أحب أنبهك ..مافي شي مضمون

يعني ..ممكن يكون والدك هناك ..

ثم أردف بلهجة خافتة : أو يكون مدفون فى قلب الصحرا

ساعتها هاتعمل ايه؟

لمعت عينا محمد ببريق ساطع مخيف واشتعلت ملامحه بغضب رهيب :

هـــــــاخد بـــتـــار ه



(١١)

طوال اسبوعين كاملين استمرت جلسات العمل الطويلة بين الستة ..وبرغم أنه لم تكد تخلو جلسة واحدة من مشاكسات محمد وزياد المعتادة والتى كانت تتطور فى بعض الأحيان الى مشاجرات الا أنهم استطاعوا جميعا بعد جهد جهيد رسم خطة شديدة الإحكام للدخول الى قلب اللهب ، وتحرير الأسرى.

وسدوا كل الثغرات المحتملة في الخطة على ضوء المعلومات التى جمعتها المقاومة

وكانت الخطة تتضمن خمس خطوات أولية شديدة الأهميه تمهد لعملية اقتحام اللهب

وبعد انتهاء أحد الإجتماعات وانصراف محمد وزياد

تحدث سعد الى حمزة : اشي غريب .. متأكد ان هدولا الزلام يقدروا يقوموا بالمهمة!!

حمزة : أكيد

سعد : انت ليش مصر تجمعهم سوا وهمه بيتشاحنوا زي الديوك !!

حمزة :هادا غيرة و حماس شباب..المفروض انهم يكملوا بعض وكل واحد يؤثر فى التانى ويغير من عيوبه

سعد : بس أنا شايف انهم مختلفين فى كل شيء ومافي اشي بيجمعهم



حمزة : شو رأيك ان محمد قدر فعلا يأثر فى زياد ويغير كتير من شخصيته

سعد : أتمنى تكون واثق من خطواتك

فيما بعد..

حمزة : محمد ..تعالى

بمجرد ان دخل محمد الى غرفة المكتب ، أغلق حمزة الباب

حمزة : محمد..مابدي اياك تكره زياد

محمد بانفعال : أنا بكرهه!!

ولا هوّ اللى عامل زى العقربة اللى شايله ديلها وماشية عاوزة تلوش أى حد

ابتسم حمزة من أسلوبه ثم قال بجدية : زياد عاش حياة صعبة كتير

أبوه كان قائد نشيط من المجاهدين ..كشفوه اليهود وضربوا بيته بصاروخ .الكل مات .أبوه.أمه .جده..اخواته الأربعة .ما لقينا تحت الأنقاض غيره حى .كان عنده عشر سنين..حتى اليوم ماحدا بيعرف يشفى جراحه. ولا يطفى النار فى قلبه

صمت محمد طويلا ثم تنهد : ايه الدراما المأساوية دي!! دا ألعن من الأفلام الهندي

حمزة : هادا حال كتير من الفلسطينيين



محمد : لا يا عم ..أنا هاخلص المهمة وآخد أبويا ونروّح عالبلد عدل

نهض محمد من مقعده : حاجة تانية يا عم حمزة ؟

حمزة : نعم ..دير بالك على أخوك زياد

ابتسم محمد ، ثم خرج من الباب ليفاجأ بوجود زياد وياسر يتحدثان معا

محمد بمرح : مين !! بوجي وطمطم ؟ بتعملوا ايه هنا ؟ بتلمعوا الأُكر !



(١٢)

:: الخطوة الأولى ::

رغم كمية المعلومات المتوفرة لدى فريق العمل عن طريق سلاح المعلومات في كتائب المقاومة الا أنهم كانوا بحاجة الى مزيد من المعلومات الدقيقة من داخل السجن

مثل نظام الحراسة ، جدول تبديل ورديات الحرس ، مواعيد الطعام وغيرها..

من أجل هذا كانت الخطوة الأولى تعتمد على الدخول الى قلب السجن من الداخل

وكانت هذه هى المشكلة الأولى

واستطاع محمد أن يحلها بذكاء

فقد استطاع أن يغري موشى جدعون الذى مازال يعمل عنده حتى هذه اللحظة بأن تتولى شركته توريد الطعام لسجن اللهب

ولأن سمعة موشى فى هذا المجال وعلاقاته بقادة الجيش جيدة ، وبسبب ما دفعه من رشاوي

نجح فى الحصول على هذه الصفقة



أما محمد .. فلقد أقنع موشى أن يتولى هذه المهمة بنفسه كمكافأة له على فكرته التى أعجبت موشى للغاية

ولأن موشى لا يصرف مكافآت مالية أبدا لأنها ضد مبادئه الشخصية

سمح لإفرايم ان يشرف على عملية توريد الطعام للسجن

عله يحصل على بعض البقشيش أو يقوم ببعض الصفقات الخاصة مع الجنود والضباط كأن يبيع لهم سجائر أو خمور أوبعض الملابس وغيرها..

أخيرا..

استطاع محمد الدخول الى قلب اللهب

فى أول يوم دخل فيه السجن ..كادت تفضحه عيناه وحنينه الى أبيه وهو يشعر أنه قريب منه الى هذه الدرجة ولا يستطيع أن يراه..

لكنه كبت مشاعره كما اعتاد دائما منذ أن كان صغيرا

استطاع افرايم بعد وقت قصير وبجاذبيته الشديدة أن يصادق أغلب الحرس ويخلب لبهم بذكائه وخدماته العديدة

وبعد شهرين استطاع الدخول الى السجن والتجوال فيه وهو يخفى بين ملابسه كاميرا صغيرة صور بها أغلب الأماكن المطلوبة دون أن يثير الشكوك

كما استطاع استخراج كل المعلومات التى يريدها من فم الحراس

وكان انتصارا ساحقا للخطوة الأولى






(١٣)

الخطوة الثانية ::

كان الفريق بحاجة ماسة لمعرفة مخطط البناء الهندسي للسجن ومكان مواسير المياة والصرف وشبكة الكهرباء وكاميرات المراقبة وأجهزة الإنذار وغيرها.

والسبيل الوحيد الى ذلك هو.

نقل صورة من المخطط الهندسي للسجن من كمبيوتر سكرتيروزير الحرب الصهيوني من داخل مكتبه في الوزارة

وكل هذا يجب أن يتم فى سرية مطلقة

.و.كانت هذه الخطوة أشد صعوبة

كان حمزة يتحدث الى محمد وزياد الجالسين أمامه

حمزة : لابد من الوصول لكمبيوتر سكرتير وزير الحرب بسرية تامة حتى ما تتعرض العملية لخطر الكشف

كـــــــــيـــــــــف ؟



أولا لابد من الدخول الى مكتب شيمون ليفى (سكرتير الوزير) ، باب المكتب ما بيفتح الا ببصمة الكف وبصمة الصوت في نفس الوقت

محمد بدهشة : يا صلاة النبي! وده نفتحه ازاي ؟ ننوم الراجل تنويم مغناطيسي ونقوله شد اللحاف زي اسماعين ياسين وناخده معانا ونؤمره يدخلنا المكتب!!

أفلتت ابتسامة من حمزة ، سيطر عليها بسرعة ثم قال بجدية : لا يا عبقري ، فيه حل أسهل من هيك ، بنروح على بيته وبناخد بصمات كفه وبصمات صوته

مين فيكو بيقدر ينجز هالمهمة ؟

محمد بسرعه : أنـــا

ثم نظر لزياد الصامت فى عجب ..كان يظن أن زياد سيحاول أن ينافسه كما تعود

نظر حمزة الى زياد الذى فضل الصمت هذه المرة ثم قال : منيح ..محمد انت هاتقوم بالعملية

زياد ..راح تكون قريب منه بالسيارة ، راح تحمى ظهره

تنهد حمزة وقال : الله معك

لا يعلم محمد بالضبط لماذا راوده شعور بأنه تورط هذه المرة



لم تعجبه أبدا لهجة الإشفاق فى كلام حمزة

ولا تلك النظرة الغريبة المبهمة فى عيني زياد

لكنه لم يستطع التراجع

دق جرس الباب فى منزل شيمون ليفى

فتح الخادم لمحمد المتنكر في الزي المميز لأحد المطاعم الشهيرة وهو يقول بمرح : خدمة التوصيل للمنازل

الطعام اللذيذ الساخن

دعاه الخادم للدخول لمقابلة صاحب المنزل

دخل محمد فوجد شيمون ليفي جالس على الأريكة وأمامه الكثير من زجاجات الخمر الفارغة..

وكان غارقا فى السكر الشديد

دعاه شيمون للجلوس..وأخذ يتحدث اليه كما لو كان صديقه الحميم

ويصف له وحدته وافتقاده للأصدقاء وعمله الممل شديد القسوة

لم يشعر محمد بالراحة منذ أن جلس ..وسيطر عليه احساس بقلق خفي لا يدري له سببا

وبعد قرابة الساعة ، طلب منه شيمون أن يوصله الى حجرته لينام فهو لا يقوى على الوقوف على قدميه

قفز محمد من مكانه عندما اتضح له السبب الحقيقى لقلقه

عندها تذكر نظرة زياد المليئة بالسخرية والتشفي ..فأخذ يسبه فى سره

استأذن محمد فى الإنصراف وعندما هم شيمون أن يرد عليه ..كان خارج باب المنزل مودعا بنظرات شديدة السخرية من الخادم الخبيث

وقف محمد فى الشارع المظلم يبحث عن زياد المنتظر فى السيارة

محمد بصوت خافت : زياد..زياد

راح فين ده ؟الله يخرب بيتك.هاتودينى فى داهية

يانـــــدل

أتى زياد بالسيارة وقفز فيها محمد

محمد : رحت فين يا ندل؟

زياد : ايش . حارس البيت طلب أبعد السيارة من أمام الباب

قال وهو يحاول اخفاء ابتسامة تحاول الظهور على وجهه : ايش عملت ؟



محمد : ولا حاجة ، هربت منه بالعافية

كانت ابتسامة زياد تغلبه

واستطرد محمد ببكاء تمثيلى : اهئ ..اهئ...اهئ

دانا كنت هاروح فى توكر

مثل زياد الغضب ليدارى ابتسامته التى تزداد : ايش !! ما كنت قادر تتحمل كمان ساعة لتنهي المهمة!

محمد بصوت عالى : يااااعم روووووووح

دانا لو جدى عرف ..كان يربطني في (سجرة) الجميز اللى حدا الجامع..و كل اللى داخل يصلي يضربني على راسي بالبلغة محبة و بركة وبعدين يتوضى

نظر اليه زياد بذهول وأخذ يتخيل الصورة الهزلية التى حكاها ، وعندما اكتملت فى رأسه سقطت كل الحواجز والمتاريس التى وضعها لتمنعه من الضحك

دخل ياسر على حمزة وهو يصرخ : أبوي ..أبوي..زياد

حمزة بذعر : ايش فيه!!

ياسر : بيضحك



حمزة بدهشة : بيضحك!!!

دخل محمد ومعه زياد وهو يترنح من الضحك ودموعه تسيل

وارتمى على أقرب مقعد محاولا أن يتوقف عن الضحك بلا جدوى

محمد بغيظ : عاجبك كده يا عم حمزة ؟

مش هاشتغل مع الواد المجنون ده تاني

كان هايلزق بالعربية فى شجرة واحنا جايين

سيطر حمزة على سعادته بزياد ، وسأل محمد بلهفة: ايش سويت ؟ المهمة نجحت؟

محمد بفخر : عيب ..دانا محمد

أخرج من جيبه جهاز تسجيل صغير :

أسهل من كدة مفيش..والحمد لله ..خرجنا بدون خساير

سمع صوت زياد من خلفه تعاوده هستريا الضحك

التفت اليه بغيظ : هي هي هي هي

الله الوكيل انت واد رخم

حمزة : والبصمات؟



أخرج محمد من جيبه كيس به شريط بلاستيكي شفاف وقال : أخدتهم من على الترابيزة والكوبايات بعد ما وزعت الخدام الرزل .. ولو دول مكفوش

لف يده خلف ظهره ثم قلبها كما يفعل الحاوي وهو يخرج كيس به زجاجة خمر داخل كيس من البلاستيك الشفاف وهو يقول : جلا جلا جلا جلا

الازازة بحالها أهيه ، احتياطي لو خط التمانية وتمانين في الكف مش واضح ، ولا الصوابع ناقصة عقلة ولا حاجة

أطلق حمزة ضحكة كبيرة ثم قال : الحمد لله .هلقيت روح ارتاح ..وبعدين بنشوف بقية الخطة

ساعد محمد زياد على الوقوف : يالله يا خويا ..ايه يله ..ايييييه ..انت جعان ضحك

ركله فى مؤخرة ظهره بقدمه فى غيظ : ماتيله ..إخلص

..............................................

فيما بعد..

جلس زياد ومحمد أمام حمزة

حمزة : هلأ لازم نفوت عمكتب شيمون ليفى بالوزارة



لوى محمد شفته الى أسفل وأطلت من عينيه نظرة اشمئزاز مبالغة بطريقة تمثيلية مضحكة

وقال بصوت باكي : تاني !! شيمون ليفي تاني !! مش كفاية البيت ؟

سالت الضحكات سيلا من فم زياد مرة أخرى

التفت اليه محمد وهو يحرك رقبته بطريقة آلية بطيئة ورفع حاجبه واتسعت عيناه باستنكار وأخذ يتأمله لثوانى: جرى ايه يابني !!

انت بالع حبيتين (مزغزغ ) عالريق النهاردة !

التفت لحمزة : أنا قلت لسيادتك قبل كده ..ده ماعدش ينفع ...ده باظ خالص..ماعندوكوش ليه قطع غيار ؟

حاول زياد باستماته السيطرة على ضحكاته ..لكنه فشل.

وطأطأ حمزة رأسه محاولا اخفاء ابتسامة كادت تغلبه ، ثم قال برفق جاد وهو ينقر على المكتب : وبعدين؟خلصنا .. بدنا نشوف شغلنا

محمد منهيا الحوار : خلاص ..بس ابقوا ركبواله جلدة

بدأ حمزة الحديث بجدية شديدة : المطلوب منكوا ..تدخلوا مكتب شيمون ليفي مستخدمين بصمات الصوت والكف اللى عملناها طبق الأصل لكفه وصوته في معامل المقاومة

محمد : ولو طب علينا واحنا هناك ؟

حمزة : ما راح يكون موجود بالوزارة..ما راح نسمح له يكون موجود

محمد بمرح وهو يشير بابهامه الى رقبته : ايه هاندبحه ؟

حمزة بسخرية : لا يا عبقرى ..راح ندخله المستشفى

محمد : هأ هأ هأ هأ ..هانسمه؟

حمزة : لا ، مابيوصل الموضوع لها الدرجة ، بيكفي نزلة معوية واسهال ، ما بنحتاج أكثر من يوم واحد

بتدخلوا المكتب وبيكون معاكوا خبير بالكمبيوتر

سأل محمد بتلقائية : ومين خبير الكمبيوتر ده ؟

حمزه بثقة شديدة وبفخر : أحمد صلاح الدين

تسعت عينا زياد بذهول..وظهر على وجهه أثر المفاجأة وهتف باستنكار : أحمد صلاح الدين!!

نظر حمزة فى عينيه وردد ببطء وبلهجة صارمة آمرة :

أحمد..صلاح..الدين



خفض زياد رأسه فى استسلام وطاعة ، ولكن بلا اقتناع

مال محمد على أذن زياد بفضول وهمس : مين أحمد صلاح الدين ده !!

زياد هامسا : صاحبي

رد محمد بخيبة أمل : صاحبك !!كسبنا صلاة النبى

أجاب حمزة على فضول محمد : أحمد صلاح الدين أفضل خبير كمبيوتر فى الوطن العربى كله ، هوصحيح عمره تقريبا من عمركوا

ثم أردف بفخر : لكنه هاكر محترف ، خرب كتير من مواقع الجيش الإسرائيلى على الإنتر نت

راح يشاركم فى هالعملية

زياد باعتراض : مافي حدا غيره !!

محمد : ياباي عليك ..دانت اسود قوي من جوه

أنهى حمزة أى اعتراض : فيش زلمة أفضل منه بيقدر يقتحم الكمبيوتر وياخد اللي بدنا اياه بدون ما يترك أى أثر يدل عليه

مهمتكم ، توصلوه للكمبيوتر داخل مكتب شيمون ليفي وتطلعوه بعد ما ينتهي من المهمة

محمد بتساؤل : وازاى هاندخل الوزارة ؟

عاد حمزة بظهره للوراء وهو يقول بدهاء :

هاي .. مهمتنا احنا






(١٤)

ركب محمد بسرعة في السيارة التى يقودها زياد الذى حاول جاهدا أن يمتنع عن الضحك

محمد : جرى ايه يله؟؟ انت هاتعملي زى المرة اللى فاتت ؟

لاااا مش كل مرة .. والله هاخدك على حنطور عينك

اتعدل كده وبطل الهباب اللى بتشربه ده

زياد : شو سويت ؟

محمد : ولا حاجة ...سلمت الأكل

زياد : يعنى أكله ؟

محمد : وانا ايش عرفني .. أنا اديته للخدام

زياد : وافرض انه ما أكله ؟

محمد : ياباي على قرك يا أخي ..دانت بومة ، أومال طالب دليفري بالتليفون عياقة؟

والفلوس اللى دفعها! دا بيطلع السحتوت من لحمه الحي

زياد : كان لازم تستنى لعند ما تطمن انه أكله

محمد : ياسلام ياخويا ..مش عاوزني كمان أأكله فى بقه



عاد زياد للضحك مجددا

محمد : المرة الجاية ابقى اطلع انت وأكله بنفسك

..........................................................

..................نبأ عاجل..........

في الساعة الثامنة من صباح اليوم قام انتحاري بتفجير نفسه أمام مقر وزارة الدفاع

ونتج عن الانفجار مقتل اثنين واصابة ثلاثة عشر من الضباط

هكذا تناقلت وسائل الاعلام الخبر

لكن ..

ماذا وراء السطور؟

في الثامنة تماما..

توقفت حافلة الضباط أمام بوابة وزارة الحرب وبدأ الضباط يغادرونها

من خلف الحافلة انشقت الأرض عن احد شباب المقاومة البواسل يرتدي زي ضابط صهيوني

اندس بين الضباط وخفض رأسه وارخى قبعته على وجهه وسار بينهم حتى وصل الى البوابة الالكترونية الكاشفة للمعادن ، وقبل أن يصل اليها نزع فتيل الحزام الناسف الملتف حول خصره بلا تردد ولا أدنى ذرة من الخوف وهو يتمتم بالشهادتين

وحدث انفجار كبير أدى لمقتل واصابة ذلك العدد من الضباط وحدثت فوضى كبيرة بالمكان

فى الدور الثالث الذى يقع فيه مكتب سكرتير الوزير

انطلق اثنان من الحرس يجرون وهم فى حالة ذعر شديد حاملين زميلهم

وهو فاقد الوعي وملابسه تغرقها الدماء

كانوا يصرخون بذعر : ارهابيون.. قتلوا الضباط .. الاسعاف .. اتصلوا بالاسعاف



(١٥)

جرى الحرس باتجاه السلالم...فى حين جرى الثلاثة فى الإتجاه العكسي.حتى وصلوا لممر طويل خلى من الحرس

وقف الثلاثة وظهرهم للحائط

وتسلل زياد بخفة شديدة وبخطوات مدروسة ..ووقف أسفل كاميرا المراقبة التى في أعلى الحائط..مد يديه لأعلى وأخذ يعبث بالكاميرا بطريقة تدرب عليها جيدا مرات ومرات ونجح فى تثبيت الصورة فى الكاميرا على مشهد واحد

ثم عاد ليصحب زميليه ليقف الثلاثه مستندين الى الحائط بعيدا عن مجال الرؤية للكاميرا الثانية

تركهم واتجه الى الكاميرا الثانيه ثم الثالثه وهكذا حتى وصلوا الى المكتب المقصود

أما الحرس الموجودين فى حجرة المراقبه فلم يلحظوا أن الكاميرات متوقفه على مشهد واحد

وساعد على ذلك أنهم كانوا مشغولين بما يحدث وكانت أعينهم مركزة على الكاميرات الموجودة فى الدور الأرضي متابعة للحادث الإنتحاري المأسوى



دخل الثلاثة غرفة مكتب سكرتير الوزير الذى كان وقتها فى المستشفى يتلقى العلاج على أثر عشاء فاسد وأحد أفراد المقاومة يراقب مدخل المستشفى جيدا حتى يطمئن أنه لن يغادرها الا بعد انتهاء العملية

جلس أحمد على جهاز الكمبيوتر..

ووقف محمد مسكا بالباب ومن فتحة ضيقة نظر لزياد الواقف بعيدا فى الممر يراقب الطريق حتى لا يفاجئهم أحد

مضت ربع الساعة وأحمد يعمل بمنتهى المهارة محاولا اقتحام جهاز الكمبيوتر

وأخيرا نجح

محمد بقلق : يالله بسرعة.خلص قبل ما حد ييجى

تجاهله أحمد مندمجا فى عمله ونجح في الوصول للملف الذى يحوي الخريطة ثم أرسلها عبر الإنترنت الى أحد زملاءه الجالس على الكمبيوتر فى مقر المقاومة ، ثم صنع نسخة للملفات الهامة الأخرى في الجهاز وأرسلها له

ثم أخذ يعمل ببراعة على ازالة كل الملفات والآثار التى تشير لدخوله على الإنتر نت ..أو استخدامه للكمبيوتر

محمد بنفاذ صبر : يالله يابنى خلص ..ايه !! بتفتح عكا !!



انتهى أحمد من عمله بنجاح

وخرج الثلاثة كما دخلوا تماما لكن ، تأخر زياد عنهم ليعيد كاميرات المراقبة الى وضعها الطبيعي

جاءت عدة سيارات إسعاف لنقل المصابين والقتلى

وخرج أحمد محمولا على محفة الإسعاف ..فاقدا للوعى وملابسه غارقة فى الدماء

وفي احدى سيارات الاسعاف ركب معه محمد وزياد المصابان بإصابات مختلفة

ورحلت السيارة بعيدا.

فى مقر المقاومة .. فتحت الأبواب الخلفية لسيارة الإسعاف الإسرائيلية بقوة

وخرج منها محمد وزياد وأحمد فى زى الضباط الإسرائيليين وقد غطتها الدماء الكاذبة

ابتسم الثلاثة بسعادة غامرة رافعين ابهامهم فى اشارة لعلامة النجاح ، واستقبلهم حمزة بابتسامة اعجاب تمتلئ حبا وفخرا وهو يقول فى سريرته : هاننتصر ...ما راح ننهزم أبدا طالما انكم مع بعض وعلى وجه أحمد الطفولي الجميل ..استقرت ابتسامة ساحرة..وهو محمولا بين كتفى محمد وزياد وقدميه لا تكاد تلمس الأرض ، فقد كان لايستطيع التحرك الا على كرســـــى متـــحـــرك.



(١٦)

:: الخطوة الثالثة ::

على ضوء الخرائط التى حصلوا عليها

بدأ أفراد المقاومة فى بناء نموذج بالحجم الطبيعي لسجن اللهب بكل ما فيه....ليصبح موقع لتدريب أفراد المقاومة على اقتحامه...وبمواصلة الليل بالنهار وبالعمل الدؤوب استطاعوا الانتهاء من البناء فى خلال شهر واحد فقط ليبدأوا التدريب الفعلى الجاد

و أخيرا..

طلب حمزة من محمد التخلي عن افرايم الى الأبد بعد أن قام بدوره على أكمل وجه ولم تعد هناك حاجة اليه وحتى يتفرغ محمد للمرحلة القادمة .وهى مرحلة شديدة الأهمية والصعوبة وتحتاج لوقت ومجهود كبير

وانتقل محمد للعيش فى الدور الثانى من منزل حمزة

مع من ؟

بالطبع مع زياد..وتقاسم معه كل شئ ..حتى مكان نومه

وواجه محمد ذلك بالصبر ..فهو بالتأكيد أهون بكثير من وجه موشى القردى



وفى تلك الأثناء

بدأ التفكير فى تنفيذ الخطوة الثالثة ..

أخرج حمزة صورة فوتوغرافية من درج مكتبه وأعطاها لمحمد وزياد

حمزة : الجنرال ديفيد بن عميتاى..قائد سجن اللهب

الجنرال بن عميتاى اله سجل حافل بالإجرام

مافى مصيبه الا وإله يد فيها ، مافي مذبحة الا وهوا وراها ، اما بالفعل أو التخطيط

ما في مكان بطول البلد وعرضها الا وترك فيه بصمة سودا

فيش حدا بفلسطين كلها الا وبدو ينتقم منه

يسمع محمد صوت صرير غريب بجانب أذنه ..يلتفت فيجد وجه زياد ممتقع بشدة وعليه غضب لا يمكن وصفه وأسنانه تستجير من قوة الضغط عليها مصدرة هذاالصوت

أكمل حمزة : وغير فلسطين ، جرايمه في حق الاسرى المصريين بعد ٦٧ موثقة وبيفتخر بها وفي صبرا وشتيلا وغيرها ..كان بيتباهى بذبح النساء والأطفال بالسكين

من عام ونص تقريبا عينوه قائد لسجن اللهب

هدا لسببين ....



أولا : لأنه مستهدف فأبعدوه عن الأماكن النشطة وأرسلوه بعيد بالصحرا لسجن اللهب كنوع من الحماية اله

ثانيا : تأديب للأسرى ، لأنه معروف انه شخصية سادية جدا وشديد الشراسة وهوايته الوحيدة .. صيد البشر وتعذيبهم

واضح انو ها المجموعة من الأسرى مشاغبة كتير

سمع محمد صوت الصرير مره أخرى..التفت لزياد فوجد وجهه جامدا.

هذه المرة اكتشف أن الصوت يصدر من أسنانه هو

تابع حمزة : المشكلة انه من اللحظة اللي تولى فيها قيادة السجن ما حدا عرف يهرب وما حدا من رجالنا قدر يقرب من السجن ..الا محمد...بقصد افرايم

بالإضافه لهادكله ..عقليته الحربية جبارة

عنده سرعة بديهة غير عادية بمواجهة المفاجآت والمواقف الطارئة

وجوده بموقعه يعتبر ثغرة خطيرة بخطتنا

هالثغرة لابد تتسكر

عشان هيك .. رح تكون هاي خطتنا القادمة ..



اغتيال الجنرال بن عميتاى

مضت فترة طويلة كان الصمت فيها هو سيد الموقف

محمد : لو قتلناه .ممكن يجيبوا اللى أسخم منه

وطالما نعرفه ، مش يبقى أحسن من اللى مانعرفهوش ؟

حمزة : معلوماتنا بتقول ان مساعده الجنرال ايزاك عكسه تماما ، مخه سميك مثل جسمه ، بطئ التفكير ، شخصيته مهزوزة جدا ، بيخاف من أقل شئ

اذا اغتلنا الجنرال بن عميتاى

من المؤكد انه راح يتعين مكانه ولو بصورة مؤقتة لوقت ما يختاروا حدا غيره وبهالتوقيت

رح نقوم بعمليتنا ، وبدون أى مفاجآت غير محسوبة

بس كيف ؟

اغتياله صعب جدا لأنه من يوم ما صار قائد للسجن ما تركه أبدا !! ما بيترك السجن ولو للحظة واحدة

هاي هى العقبة باغتياله ..



الهدف اللى بدنا اياه متحصن بقلعة جبارة

لازم نصيده   وبدون ما تتعرض العملية للكشف

كيف ؟ما بعرف ؟

خرج محمد وزياد من عند حمزة صامتين تماما

كانا يفكران فى كيفية اخراج ذلك الثعبان الشرس من جحره

ولعدة أيام ظل الأمر يشغل بالهما حتى أثناء التدريب

وكان أشد ما يقلقهما هو تهديد حمزة بإلغاء العملية كلها اذا لم تنجح هذه الخطوة

استيقظ محمد فزعا على رفسة هائلة فى فكه ألقت به من جانب زياد من فوق الفراش

نهض محمد من على الأرض وهو يتأوه ماسكا فكه.

فوجد زياد يصرخ وهو نائم ويرفس بساقيه فى حركات تشنجية عنيفة

ودموعه وعرقه يغرقان وجهه والوسادة التى ينام عليها

هزه محمد بقوة : زياد. زيااااد..ماتقوم يله الله يخيبك ، طيرت النوم من عيني

يصرخ فيه : زيااااااد

انتفض زياد من فراشه وجلس وهو يقول : أعوذ بالله ، أعوذ بالله



محمد بغيظ: قلق وانت صاحى وقلق وانت نايم !!

ايه يله ده !! انت مستحمل نفسك ازاى ؟

ظل زياد يردد الإستعاذه وهو ينتفض وصدره يعلو ويهبط بقوة

محمد : ايه !! حلمت حلم وحش؟

هز زياد رأسه وهو يأخذ نفسه بصعوبة

محمد : خلاص..اهدى خلاص..الكابوس مشى

ناوله كوب ماء : اشرب ميه

شرب زياد وبدأ يهدأ قليلا

أخذ محمد الكوب منه : بالسم..آ...قصدى بالشفا..نام..ياله نام

وضع زياد رأسه على الوسادة..ومازال يتنفس بسرعة ويرتجف

محمد : بس خلاص..نام ..بقولك ايه.. بطل ترفيس وانت نايم .ايه !! نايم فى الزريبة جنب جاموسة؟

أخذ محمد يطرق كتفه برفق وقال : أحكيلك حدوتة؟

هز زياد رأسه وهو يبتسم بشحوب



محمد : طيب..غمض عينيك ..وصلي على النبى

يتمتم زياد: عليه الصلاة والسلام

أخذ محمد يحكي وهو يقاوم النوم : كان ياما كان ...كان فيه زمان بنت جميلة اسمها ست الحسن..هااااووم

أغمض محمد عينيه : قاعدة على شط الترعة.بتفلي شعرها فى القمرة..شعرة ..فضة..وشعرة .هاااااوووم

دهب ..سمعت صوت..بينده عليها.هااوم ..بصت لقت النداهة...هاااااوم ...بتقول لها ...اديني ..شعرك ..النضيف الجميل..هاااووم..وخدي شعـــــ...

ثم استغرق الإثنان فى النوم

في اليوم التالي بعد أن صّلى الإثنان صلاة الجمعة..

انطلق زياد مسرعا ..ومحمد يحاول اللحاق به

محمد : زياد ، استنى رايح فين ؟

زياد : تعال معي



ذهب الإثنان الى حمزة الذى استمع لزياد باهتمام وبعد أن انتهى قال بعد تفكير: ها الخطة كتير صعبة ومش مأمونة أبدا

زياد بحماس : بالعكس ..هاى مجربة قبل هيك

عقد حمزة حاجبيه : كيف !!

زياد بحماس شديد : عملها سيدنا خالد بن الوليد

ضرب محمد كفا بكف بغيظ شديد : أستغفر الله العظيم

أما حمزة ..فابتسم وقال : خالد بن الوليد ماكان عأيامه سيارات سريعة ولا بنادق آلية

زياد : بس القوة أيامهم كانت متعادلة وكان عندهم النبال

فكر حمزة : ولو ..بقدرش أنفذها ، المخاطرة كبيرة.. بقدرش أضحي باتنين ..

قاطعه زياد بانفعال : فيش حل تاني ....الوقت بيروح مننا ....

لازم نتحرك بسرعة..وأنا مستعد أعمل هالعملية

ثم نظرالى محمد : ومعي محمد

رسم محمد على وجهه السذاجة : هه..مين محمد ده !!

دا السباك ؟



زياد بجدية : انت معي ؟

محمد : الله الوكيل انت مخك طاقق

حمزة : موافق يا محمد ؟

محمد : أمري لله..أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

عم حمزة ..وصيتك اللى يفضل مني ابقى ابعته لأمى

نظر اليهما حمزة باعجاب وابتسم :

على بركة الله



(١٧)

انطلقت صفارات الإنذار داخل سجن اللهب بدوى يصم الآذان دخل أحد الجنود على الجنرال بن عميتاى...قائد السجن

الجنرال : ماذا حدث ؟

الجندى : الرادار والراصد الحراري اكتشفوا وجود شخص يحاول التسلل الى المنطقة المحيطة بالسور الخارجي للسجن

انتفض الجنرال من على مكتبه بغضب : هذه أول سابقة تحدث منذ أن توليت منصبي

كيف تجرأت الحشرات على الإقتراب من حصني!!

الجندى : جهزنا سيارة مكشوفة وعليها مدفع سريع الطلقات للحاق به

الجنرال : سآتى حالا

الجندى : عفوا سيدى ..هذا خرق للإحتياطات الأمنية

فنحن لا نعرف من وراءه ولا كم عددهم

الجنرال بغضب هادر: نفذ الأمر ..جهز السيارة وسآتى على الفور

انطلق الجندى لتنفيذ الأمر



استعد الجنرال وارتدى أسلحته وبزته :لقد ألقى بك حظك العثر فى طريقي أيها المخرب ..ستكون ليلة مليئة بالإثارة..انتظر حتى ترى ما سأفعله بك ...

لمعت عيناه ببريق شرس: سأطحنك مثل الحشرة أنت ومن وراءك

ارتدى قبعته وفى عينيه نشوى عارمة : والآن..حان وقت الصيد

انطلقت السيارة تحمل الجنود وعلى رأسهم الجنرال بن عميتاى تطارد محمد الملثم الذى ينطلق ركضا على قدميه كالريح

ضحك الجنرال ضحكة خبيثة وهو يصوب مسدسه نحو محمد

ليس هناك أسهل من ذلك..سأطلق النار على ركبته أولا ...

هكذا يكون الصيد أكثر متعة

فجأة..ظهر ت دراجة نارية سريعة يقودها زياد الملثم أيضا

اقتربت الدراجة من محمد وسارت بجواره فقفز خلف زياد برشاقة يحسد عليها

كانت الدراجة مجهزة بعجلات تناسب طبيعة الرمال وتستطيع أن تناور بسرعة كبيرة

أطلق الجنرال رصاصات عديدة محاولا إصابة الدراجة ومن فوقها ..لكن زياد كان يقود بمهارة شديدة وينحنى انحناءات مفاجئة تجعل اصابته أمرا شديد الصعوبة

جن الجنرال بن عميتاى فقام من مكانه ودفع الجندى الذى يمسك بالمدفع دفعة كادت تلقى به من السيارة

أمسك بالمدفع وأخذ يطلق الرصاصات وهو يصرخ بجنون :سأقتلكم أيتها الحشرات ...سأطحنكم تحت حذائي طحنا

نصف ساعة كاملة والمطاردة تشتد شراسة

اشتعلت عينا الجنرال بالإثارة وهو يقول فى نفسه :لم أنعم بإثارة كهذه منذ أن دخلت هذا الحصن العفن

فجأة .. انحرف زياد فى طريق آخر شديد الوعورة

كانت دراجته تتفادى الصخور بمهارة وهو يسير فى خطوط متعرجة

أما سيارة الجنرال ..فبرغم قوتها وعجلاتها المجهزة ..لكنها كانت تسير بصعوبة بسبب كبر حجمها وثقلها حتى أنه كان يصوب المدفع بصعوبة فى اتجاه الدراجة

انحرف زياد خلف تبة رملية كبيرة..ووراءه السيارة

فجأة .. أخذت السيارة تدور حول نفسها وتترنح يمينا ويسارا ..

نظر الجنرال الى السائق فوجده ممددا بجواره وفى رأسه طلق نارى ..حاول أن يلقى به من السيارة ويأخذ مكانه ليحاول السيطرة عليها

لكن عجلات السيارة لم تتحمل الصخور الوعرة الكبيرة فانقلبت عدة مرات بمن فيها

انشقت الأرض عن رجال المقاومة الذين كانوا مختبئين فى حفر فى الرمال معدة مسبقا

وقاموا بنسف السيارة بمن فيها ولم يتركوا وراءهم أى جندي

انتهت أسطورة الجنرال بن عميتاى على أيدي شباب المقاومة

هتف الجنود بحماس بالغ

الله أكبر..... الله أكبر... الله أكبر.......





(١٨)

......الخطوة الرابعة........

عندما عاد زياد ومحمد الى مقر المقاومة ..استقبلهم زملاؤهم استقبال حافل وأقاموا لهما احتفال رائع فرحا بالقضاء على الجنرال السادى

وفى هذه الليلة أطلق عليهما حمزة اسم التوأم المرعب

وفى تلك الليلة ..نام محمد وزياد نوما عميقا بدون أية كوابيس أو أحلام مزعجة

وفى اليوم التالى ...اجتمع حمزة بمحمد وزياد فى مكتبه

حمزة : الحمدلله ..قطعنا شوط طويل ومابقاش إلنا الا القليل وبعدها..الهدف الكبير

لمعت عينا الشابين بحماس وانتفض قلباهما بقوة

حمزة : الخطوة القادمة ماهي صعبة كتير ...مرينا بالأصعب منها ..بس كتير مهمة وبيتوقف عليها تأمين العملية

لازم يكون الجنرال ايزاك تحت مراقبتنا بكل لحظة لأنه أى عمل غير محسوب من شأنه يهد العملية ويروح جهد وتعب شهور كتيرة



والمهمة هي ....بدنا ناخد الموبايل تبعه ونحط فيه جهاز تصنت ليكون كلامه وتحركاته واتصالاته كلها تحت مراقبتنا

ولو قام بأى تصرف مفاجئ بنكتشفه عطول وبنتصرف

هالمرة .. بيرافقكم فى هالمهمة أفضل خبير الكترونيات بفلسطين كلها ..

بس..حتى تنجح المهمة ، لازم نتحمله مهما صار..

فاهمين..مهما صار

هوا ما بيتأخر..هلقيت بيكون هان

غطى زياد وجهه بكفيه وأغلق عينيه بقوة كما لو كان ينتظر مصيبة ما

راقبه محمد بتوجس ثم اعتدل وهو يغنى بصوت خافت :

حاسس بمصيبة جايالى ..يالطيف .. يالطيف ..

فتح الباب فجأة..

ودخل شخص فى عمر حمزة تقريبا..

كان مظهره شديد الغرابة ..ينتعل حذاءا رياضيا وقبعة رياضية ..وفوق كتفيه وضع جاكيت دون أن يلبس أكمامه وفى يده حقيبة بيدين صغيرتين

ومن زاوية فمه ظهرت عصا حديدية صغيرة ، دقق محمد نظره فوجدها مفك ساعات صغير

تقدم بخطوات مستهترة ثم فتح ذراعيه فجأة عن آخرهما فسقط الجاكيت عن كتفيه وطارت الحقيبة الى ركن الحجرة فتلقفتها الأريكة التى بجانب الحائط

قال بابتسامة والمفك مازال فى فمه :

حمزة...عيوني..اشتاقتلك كتير

سلم عليه حمزة بحرارة وقال : عامر الصايغ

التفت عامر لزياد : زيااااد ..الرجل ذو الوجه الكئيب

كيف حالك عيونى؟ لساك بتكره الضحك والفيران بتهرب من وشك؟

كان محمد يتأمل باستغراب ذلك النموذج الفريد من البشر

ولاحظ عامر أنه لم يحول عينيه عنه منذ أن دخل فقال:

مين هالكتكوت لصغير؟ عيونى .. ليش بتطلع فيا هيك !! بدك تصورنى !!

حمزة : محمد المصري

عامر : هاااا مصراوي..آآآه ياعيوني على مصر وجمالها

جلس الأربعة حول المائدة ليستمعوا الى حمزة الذى قال :



هاليلة هى آخر ليلة بيكون فيها الجنرال ايزاك فى البلد ..الصبح بدري بيروح عالسجن .. فيش قدامنا فرصة لنزرع جهاز التصنت فى المحمول تبعه الا الليلة ..والليلة بيسهر مع أصدقائه بملهى النجوم ..بدنا ناخد الموبايل بدون ما يحس وبنزرع جهاز التصنت فيه ونرجع له ياه بدون ما يحس

محمد مقاطعا : أنا عندي فكرة

وأكمل بمرح : أحسن حاجه.. ننومه تنويم مغناطيسى

لكزه زياد فى جانبه بمرفقه ليسكته لكن محمد لا يفهم الرسالة

محمد : ايييييه... فى ايه؟

اعتدل عامر ببطء والتفت الى محمد :

زياد ..عيوني..اتركه ..

من زمان ما شفت فيلم مصري هأ..هأ....هأ..مسلي.....والله مسلي أكتر من العلك...

يا الله على هالدماغ الذرية..بدى أقدم التهانى للست أمك اللى أنجبت النا هالمعجزة البشرية

ثم تحدث الى زياد الجالس بينه وبين محمد : زياد ...عيونى ...

شو مالك ساكت؟ ما عندك خطه مثل صديقك العبقرى!!



هز زياد رأسه بالنفي وقال : لا.بعطيكاش الفرصة لتهزأنى

تفجرت سخرية عامراللاذعة في وجهه : عيوني .. وله ..أنا بستناش الفرصة لأهزأك حبيبي .لما بحب هزأك.أنا باخترع الفرصة ..وبهزأك وبهزأ اخوانك وأصحابك وكل اللي يحاميلك

ثم نظر لمحمد الفاتح فمه بذهول وبلاهة : وبهزأ صديقك هاللي فاتح تمه متل المعتوه

ينقذهما حمزة من بين يديه : الحين بتروحوا تستعدوا لهاليلة

نهض زياد ومحمد الذى مازال وجهه يحمل ذلك التعبير الأبله واتجها للباب فهمس فى أذن زياد :

مين عم عامر أبو لسان زالف ده؟.جبتوه منين !!

يلدغه زياد من ذراعه ليسكته : اسكت هادا بيسمع دبة النملة ..

لكن الأوان قد فات وأدرك محمد متأخرا الخطأ الرهيب الذى ارتكبه عندما حاول بسذاجة أن يستخدم أسلوبه المميز مع عامر الذى نزع المفك من بين أسنانه والتفت له

غطى زياد أذنيه بذراعيه المطويين وصاح : انبطح ..نزع المفك

لم يلتفت عامر له.لكنه غسل محمد بنظراته الساخرة وهو يقول :



قطفونى من عاشجر حبيبى...طلعوني من سيارة لغراض سيدى...نزلتلهم من حنفية المي عيوني

بتسكر تمك ولا بقوم أكسر راسك انت واللى جابك هنا يا حزين!!

أصابت محمد صدمة ، فظل ساهما للحظات ثم جذب زياد من شعره بقسوة جعلته يصرخ متأوها وقال بانفعال : أهه..أهه..هو ده وش البومة اللى جابني هنا

انهى حمزة المجادلة : بدناش نضيع وقت

روحوا استعدوا

دفع محمد زياد أمامه : يالله يا خويا ...جتك ستين نيلة .

أصل انت مهزأ وعايز تتهزأ

في ملهى النجوم ..

كان الجنرال ايزاك يجلس وسط أصدقائه وهو يأكل بشراهة مقززة ويضحك من آن لآخر والطعام يملأ فمه

شرب كأس الخمر الذى أمامه فى جرعة واحدة



جحظت عيناه وأمسك صدره بيديه وبدا وكأنه لا يستطيع التقاط أنفاسه ..التف حوله الجميع وحاولوا اسعافه..لكنه كان يصرخ برعب ...قلبى ....آآآآه.....لا أستطيع .. انقذوني

حدث هرج شديد وبدأ الجميع فى البحث عن طبيب بين الحاضرين

تقدم أحد الأشخاص وقال : أنا طبيب

أفسحوا له المكان ..وبدأ يحاول اسعافه

فى تلك الأثناء....

دخل محمد الى احدى الشقق فى نفس العمارة التي يحتل الأدوار الثلاثة الأولى منها ملهى النجوم

أعطى الهاتف المحمول الخاص بالجنرال ايزاك لعامر الجالس الى المنضدة مفتوحة أمامه حقيبته الصغيرة

سأله زياد بلهفة : شو سويت ؟

محمد :كله تمام ...الحباية مفعولها ينتهي بعد ربع ساعة بالظبط زي ما قالى عم حمزة

زياد بقلق : ما راح يموت

محمد : لا اطمن الحباية بتعمل أعراض مشابهة لأعراض الذبحة...وبعد ما ينتهي مفعولها ولا أجدع تحليل يقدر يكتشفها

أمسك عامر المحمول بين يديه : نوع ردئ ...عمر الصهاينة ما راح ينضفوا ابدا

فجأه..

انتفض زياد ومحمد برعب شديد عندما رن جرس المحمول بين يدى عامر

تناوله عامر بمنتهى الثقة والغرور ووضعه على أذنه وقال بالعبرية: هذا الرقم غير متاح حاليا....كن مهذبا وأغلق الهاتف أو أنزل بالمطرقة على رأسك..

أغلق المحمول وعاد لعمله ببرود وكأن شيئا لم يكن

نظر اليه الإثنان بذهول

محمد : ياخبر أبيض ..روحنا فى داهية

عامر بسخرية شديدة : بدرى عليك..لسه كتكوت صغير عم تصاصي على أمك

بتسكر تمك وله .. لما بكون مشغول..أو بديك شلوط اسكندراني بيرجعك عا بلدكوا فى تابوت

ضرب محمد كفا بكف : يانهار أبيض ...دا فلسطينى من الجمالية دا ولا ايه !!



عامر : من حواري شبرا وحياة الله ..

ثم أردف باللهجة المصرية : وكنت بالعب كورة شراب مع سيد بطشة وحسن لأقرع..

بتسكر تمك ولا لسه نفسك فى وصلتين ردح باللهجة المصرى !!

ألقى اليه بالمحمول فتلقاه محمد من الهواء وهو يسأل : ايه خلاص!!

عامر بمنتهى الغرور : شغل لمعلم لكبير...هيك بيكون الشغل

عاد محمد الى الملهى وهو مازال متنكرا فى ملابس الجارسون..واتجه الى مائدة ايزاك الذى بدأ يستعيد بعضا من قوته..قدم له كوب ماء وبيده الأخرى ..أعاد المحمول الى مكانه السابق بخفة ومهارة دون أن يشعر أحد

وفى اليوم التالي ..

غادر الجنرال ايزاك البلدة الى سجن اللهب وهو محاط بعيون وآذان المقاومة

أما أفراد المقاومة ...

فقد أخذوا يعملون بمنتهى السرعة لإنجاز الخطوة الأخيرة قبل أن يختار الصهاينة جنرال آخر لقيادة سجن اللهب



(١٩)

الخطوة الأخيرة ::

مع نهاية الخطوة الرابعة..بدأ العد التنازلي للعملية الكبرى وأصبح التوتر هو سيد الموقف

وتحول التدريب الى شبه معركة حربية كان حمزة وسعد وأبو أيمن قد قاموا باختيار كتيبة مكونة من ٧٥ شاب من أفضل شباب المقاومة ومنهم بالطبع التوأم المرعب ، وسموها كتيبة اللهب ، وذلك للتدريب على عملية اقتحام السجن..

لكن..

كان أصعب جزء من التدريب يعتمد على اختيار اثنين فقط ليدخلا أولا الى السجن بعد قطع الكهرباء من المنبع الرئيسي ، ليصلوا الى حجرة المولدات فى أقل من ثلاث دقائق ، وهى المدة التى تبدأ فيها المولدات العمل ، وبعدها يقوموا بتعطيل المولدات حتى يستطيع باقى أفراد الكتيبة الدخول الى السجن تحت جنح الظلام

كان هذا الجزء من التدريب أشبه بألعاب الفيديو

فالمطلوب هو اجتياز طريق طويل ملئ بالمخاطر والمعوقات المختلفة فى ظلام دامس والوصول لنهايته قبل انتهاء الوقت المحدد



ألح محمد وزياد على القيام بهذه المهمة ...لكن حمزة رفض بشدة : بيكفى اللى عملتوه ....اتركوا فرصة لحدا غيركوا

راح يختار اتنين محترفين ليقوموا بالمهمة

بدأ حمزة وسعد وأبو أيمن باختبار اثنين بعد اثنين للتدريب على هذه المهمة

لكن لم يستطع اى ثنائى من كتيبة اللهب النجاح فى المهمة فى الوقت المحدد حتى محمد وزياد ..لم ينجحا أيضا

واستمرالتدريب لمدة طويلة دون تحقيق نجاح يذكر

وبدأ الوقت يداهمهم...مما جعل حمزة يجمع الكتيبة ويقول لهم : ها المهمة كتير صعبة .عارف انكو تعبتوا

بس..احنا محكومين بوقت .الوقت مقيدنا. بنقدرش ننتظر أكتر من هيك..اذا نفد الوقت بدون ما ننجح باجتياز هالطريق

باضطر ألغى العملية

انفجر محمد كالقنبلة فى المكان :

نعم !!!! تلغي العملية !!!!



بقى أنا سايب أمي وبلدى وضيعت الليسانس وبطولة الجامعة والجمهورية.. وفى الآخر تقولي نلغي العملية !!

دانا أهد الدنيا

رماه حمزة بنظرة نارية وانطلق فى وجهه بصوت كالرعد : سكر تمك ...انت هان جندي مثلهم ..بتطيع الأوامر

كظم محمد غيظه وطأطأ رأسه

أكمل حمزة : أبوك مش لوحده هناك .معاه ٢٢ أسير مصري. . و ١٣١ معتقل فلسطينى من أفضل رجال المقاومة

فيش حدا هان بيحلمش بها العملية

هالعملية مش تحرير أسرى فقط ..هاي طعنة بقلب العدو الصهيوني..انجاز استراتيجي ..لو بيتحقق

بيحقق لنا مكاسب فوق الخيال

تفكرش بحالك بس.. هالعملية فيها ٧٥ شاب من أفضل شبابنا ، وبديش أفقدهم لخطأ بالتدريب

اذا بيكونش نسبة النجاح مئة بالمئة ..ما راح بضحي بظفر واحد منهم





بكرا.. هو آخر يوم للتدريب على الوصول لحجرة المولدات

اما بننجح وبنكمل ..واما بنلغي العملية

هادا الكلام للجميع ..قدامكم يوم واحد لتنجحوا فى عبور هالأرض

ثم اقترب من محمد ونظر فى عينيه نظرة قوية وهو يقول بلهجة ذات معنى : اما بتنجحوا فى الـــــعــــبـــــور

أو...بلغي العملية






(٢٠)

جلس زياد ومحمد فى غرفتهما يقرآن القرآن معا انتهى زياد من الجزء الخاص به والتفت الى محمد الذى يجلس شاردا وهو فاتح المصحف بين يديه

زياد : محمد ..دورك ..محمد..محمد..شو مالك ؟

محمد وكأنما لم يسمعه : وله يا زياد...هو صحيح عم حمزة ممكن يلغي العملية ؟

زياد بتأكيد : أبو جهاد لما يقول كلمة ..بيرجعش فيها

محمد : الله يطمنك ..يا وش الخير

سأله بفضول : مين جهاد ده ؟

زياد : الشهيد جهاد ..ابنه الكبير..كان صديقي

فكر محمد بعمق..وظهر على وجهه الضيق الشديد

ثم قفز من مكانه وارتدى ملابسه بسرعة

زياد بدهشة : وين بتروح هالساعة !!

محمد باقتضاب : موقع التدريب

زياد بدهشة : هلقيت !!



محمد بضيق : بقولك ايه ..أنا رايح رايح..عاوز تيجي معايا تعالى ..مش عاوز ..نام انت

وصل محمد قاعة التدريب الخالية في هذا الوقت من الليل وقال : دلوقتى الواحد يتدرب على رواقة

زياد : مشفتش مجنون مثلك !! بدك تتدرب هلوقت بعد هاليوم المليان بالمشقه !!

محمد بعزيمة : هافضل اتدرب لحد مانجح.يا اما تدفنوني هنا

المهم .. انت معايا ؟

زياد : شو!!..بتفكر شو جابني عاهان بهالوقت !!

مجنون زيك !

محمد : طب يالله ياخويا وبلاش نضيع وقت

استمرا بالتدريب باصرار يفوق الخيال

لدرجة أنهما لم يلحظا تلك العينين اللتين تراقبهما فى الظلام بمنتهى الحب والإعجاب

فى صباح اليوم التالي دخل شباب كتيبة اللهب الى موقع التدريب ....وفوجئ الجميع بمحمد وزياد ممددين على الأرض ومستغرقين فى نوم عميق

استيقظ الإثنان واستعدا لبدء التدريب



طلب الإثنان من حمزة أن يقوما بأول محاولة فى هذا اليوم الفاصل لعبور الطريق ووافق

اطفأت الأنوار وبدأت المهمة

خطوة وراء خطوة ...وحاجز وراء حاجز ...وبعد جهد جهيد وصل الإثنان الى الهدف

وكان الفيصل فى نجاح المهمة هو التوقيت

وقف الإثنان فى الجانب الآخر من الطريق فى انتظار النتيجة بقلق شديد

هبط الصمت الثقيل على القاعة والجميع فى انتظار ما سوف يقوله حمزة

فجأة ..انساب صوت حمزة من حجرة التحكم عبر مكبر الصوت الداخلي :

زمن العبور : دقيقتان ..وسبع وأربعون ثانية

تفجرت القاعة ببركان رهيب من الفرح

وهجم شباب كتيبة اللهب بأكملهم على محمد وزياد ليذوبا وسط الأحضان والقبلات والمشاعر الفياضة

ثم كونوا دائرتين فى وسط احداهما محمد والأخرى زياد وأخذوا يقذفونهما لأعلى عدة مرات ويهتفوا بسعادة بالغة..الله أكبر



وحمزة وسعد وأبو أيمن في غرفة التحكم يتبادلون التهنئة والأحضان وفى عيون كل منهم ظهرت دمعة فرح متلألئة

لقد اقترب الحلم الكبير .....وبات على وشك التحقيق






(٢١)

:: الحصن ::

قضى شباب كتيبة اللهب باقى اليوم فى تدريب جبار على عملية الإقتحام وفى نهاية اليوم.. انصرف الجميع للراحة واستوقف حمزة محمد وزياد وأخذهما الى مكتبه كان الإثنان يقفان أمامه وهما لا يستطيعان فتح أعينهما من التعب ..وما أن بدأ حمزة الكلام ...حتى طار النوم تماما ، وحل الانتباه والاهتمام

حمزة : بكرا هو آخر نهار بنقضيه سوا ..بعدها ..ماحدا بيعرف ان كنا راح نتقابل مرة تانية أو لا

بدى قلكم اني ما حبيت حدا أكتر مما حبيتكوا..

انتوا أمل لتحرير هالأرض

وكل الشباب متلكم يالي مؤمنين بعدالة القضية ومستعدين يقدموا أرواحهم ثمن للنصر..

مابدي ياكو تكرهونى لأنى كنت أحيانا اعاملكوا بالقسوة  هدفي انى أظهر أفضل ما فيكم

بوصيكم وصية ..

وين ما تنجح العملية ويسافر محمد عابلده ويصير كل واحد بطريق..بدي ياكوا تظلوا أصدقاء مدى الحياة

هاي الصداقة هى أفضل شئ راح تكسبوه من هالمهمة ولما بيحتاج حدا لرفيقه بيلاقيه وين ماكان هلقيت ...لازم ترتاحوا .. لا تفكروا في اي اشي الا المهمة

..................

في وقت متأخر من نفس الليلة ..

زياد : محمد ..محمد

محمد : فيه ايه يا قلق ..اتخمد ..ورانا بلاوي بكرة

زياد : صحيح لح ترجع عمصر بعد ماتنتهى المهمة ؟

محمد : طبعا يابنى ..دا زمان أمى هاتتجنن عليا

صمت زياد واعتدل محمد جالسا : ايه ! زعلت ؟ ما تخافش ..مانا هابقى آجى أزوركوا..وانت كمان ..لازم تيجى تشوف بلدنا

عارف يا زياد..أنا عمرى ما هانساك ، أصلك بتفكرنى بواحد صاحبي فى مصر..هو صحيح كان متخلف عقليا..

بس باحبه قوى ..

ضحك الإثناء فى ود وصفاء



لكن ضحكة زياد بدت حزينة للغاية

فى اليوم التالي.........

تحول موقع التدريب الى خلية نحل ...وتسابق الجميع فى تجهيز المعدات والأجهزة اللازمة للمهمة حتى أنهم لم يجدوا وقت للكلام

فى وسط اليوم ..تعرض محمد وزياد لمفاجأة

عيونيييييي

كيف حالكم يا كتاكيت!!

كيف حال الكتكوت المصراوى؟؟....لسه بيصاصي على أمه؟

التفت محمد وزياد خلفهما ببطء شديد من أثر الصدمة

وهمس محمد فى أذن زياد : ايه رأيك؟ تيجى نسمه ونخلص منه

عامر : سمعتك يا خفيف .. والله المصراوية دمهم خفيف كتير..لكن ماتنسى تسكر تمك ..ولا بدك تاخد كفين على خديك الورديين؟

حمزة : عامر رح يرافقكم بهالمهمة..هو بيعرف كيف يتعامل مع جهاز الرادار.. أما الراصد الحرارى فحنا منعرف كيف نتعامل معه

(٢٢)

حانت ساعة الصفر..

انطلقت أربع سيارات نقل للبضائع ذات حاويات ضخمة متجهة الى الحصن حاملة شباب كتيبة اللهب وحمزة وأبو أيمن وسعد وعامر ودليل الصحراء الذى قادهم فى طريق وعر وشاق وطويل ..كان طريق مجهول ....لكنه يعرفه جيدا

سارت السيارات فى الطريق يوما كاملا وليلة ..وتوقفت فى منتصف نهار اليوم الثانى ..وبقوا فى أماكنهم حتى نزلت ستائر الليل

أدى الجميع صلاة العشاء بحرص

وكل منهم يبتهل الى الله بقلبه أن ينصرهم ويثبت أقدامهم

بعدها ..

انطلق محمد وزياد ومعهم عامر باتجاه السجن

وعلى بعد مئتي متر من السور الخارجى بدأ عامر عمله

فى نفس اللحظة ..كان حمزة ومعه شابين من شباب المقاومة يتجهان الى كابل الكهرباء الأساسي الذى يغذي السجن بأكمله..وعن طريق الخرائط التى تم حفظها عن ظهر قلب وصلوا الى مكان الكابل بسهولة ..

أخرج عامر جهاز صغير من حقيبته وطبق ارسال صغير وركبهما معا بدقة متناهية ووصلهما مع بطارية سيارة .. وأصبحت جميع التوصيلات جاهزة

قام الشابين بالحفر حتى وصلوا الى الكابل المطلوب

أخرج زياد من حقيبة ظهره منظارا للرؤية الليلية يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، وبمساعدته حدد بدقة مكان جهاز الراصد الحرارى الذى ما ان يشعر بالموجة الحرارية لجسم الإنسان حتى يرسل صفارة تنبيه لحرس الأبراج المبنية فوق السور

كان الراصد الحراري موضوع فوق عامود مثبت على بعد مئة متر منهما صوب زياد مدفعه باتجاهه وانتظر..

أعطى محمد الاشاره لهما.. فقام عامر بتشغيل الجهاز الذى ركبه ..وهو يطلق موجات فى الهواء تقوم بالتشويش على الرادار وأجهزة اللاسلكى فى دائرة نصف قطرها ٢ كيلو متر واستطاع التشويش على أجهزة اللاسلكى فى داخل الحصن.

وأطلق زياد نيران مدفعه سريع الطلقات ودمر الراصد الحراري

وانطلق محمد وزياد كالبرق يعبران مئتي متر عدوا حتى وصلا الى السور الخارجي الذى يرتفع سبعة أمتار كاملة ...وكمن الإثنان هناك تحت السور

انتبه الجنود فى حجرة التحكم الى تعطل الراصد الحرارى



وأيضا الى تعطل أجهزة اللاسلكى عندما حاولوا الإتصال بحرس الأبراج..فأرسلوا أحدهم لإستطلاع الأمر

نظر محمد فى ساعته وأخذ يعد الثواني ونظر حمزة فى ساعته وأخذ يعد الثوانى..

وعندما حانت اللحظة..

قال حمزة : الآن..

قام الشابين بقطع كابل الكهرباء ليغرق المكان كله فى بحر من الظلام

وبدأ زياد ومحمد لعبة الظلام التى تدربا عليها جيدا حتى أنهما لا يحتاجان لأعين تريهما الطريق

قذف زياد بحبل معلق فى آخره هلب صغير ليتعلق بالسور من أعلى

قام الإثنان بتسلق الحبل بسرعة والنزول من الناحية الأخرى

وأصبح الإثنان داخل الحصن..

فى تلك الأثناء

بدأت السيارات بالتحرك باتجاه الحصن

أخرج زياد من حقيبة ظهره قاطع أسلاك حديدية ..وكذلك فعل محمد



وبدآ فى احداث فتحة لينفذا منها فى السور السلكي بعد أن قطعت عنه الكهرباء

نفذ الإثنان عبر السور وانطلقا يركضان فى ساحة السجن عبر مائتى متر باتجاه المبنى الذى يوجد به حجرة المولدات

شعر الحراس القابعون فى الأبراج التى فى ساحة السجن بحركة غريبة وبشبحين أسودين يجريان فى الظلام

بدأ الحرس باطلاق النار بطريقة عشوائية مرتبكة

لكن الشبحين استطاعا الوصول للمبنى

سقط الحارس الواقف على باب المبنى بضربة قوية على رأسه من محمد

صعد الإثنان الى الدور الثانى كالريح بعد أن أفقدا الحارسين فى الدور الأرضى وعياهما

دخل محمد فى مباراة كنغ فو مع حارس الطابق الثانى الذى كان يتقن لعبة الكاراتيه فعطل محمد لبعض الوقت

لكن محمد أفسح المكان لزياد الذى تركه يتعامل مع الحارس ودخل هو الى حجرة المولدات

وبسرعة و قبل أن تنتهى الثلاث دقائق بأربع ثوانى ...حطم زياد المولدات برصاصات غزيرة من مدفعه سريع الطلقات والتى أطلقها فى أماكن تمرن عليها سابقا

بدأ الحراس يتوافدون على المبنى بعد سماع أصوات المعارك بداخله

لكن الشبحين غادرا المبنى قبل وصول بقية أفراد الحراسة واتجها فورا الى المبنى الذى يحوى زنزانات الأسرى والمعتقلين

فى تلك اللحظة وصلت السيارات ونزل منها شباب كتيبة اللهب كالسيل

وقام أحدهم بتفجير السور الخارجى والداخلى بمدفع الآر بي جي

ودخلوا الى ساحة الحصن أشباح سوداء تجرى فى كل مكان وتلقى الرعب فى القلوب وتحصد الأرواح حصدا بمدافعهم سريعة الطلقات

قاموا بقتل كل الحرس القابعين فى الأبراج واتجهوا الى مبنى زنزانات الأسرى والمعتقلين

وهناك ..كان محمد وزياد يصارعان الموت مع حراس الزنزانات الذى كان عددهم كبير

وصل رجال المقاومة فى الوقت المناسب لمساعدتهما

قتلوا كل الحرس ..دمروا أقفال الزنزانات وبدأوا باخراج الأسرى فى طوابير ...واقتادوهم الى مكان السيارات

ومن لم يستطع السير من كثرة التعذيب ..كانوا يحملونه

اتجهت مجموعة ثانية الى مبنى الإدارة وقتلت كل من فيه



ثم اتجهوا الى نزل الجنود وفعلوا به ما فعلوه بالمبانى الأخرى

وكان ذهن محمد فى تلك اللحظة مشغول بشئ واحد فقط..

أين والده ؟

اتجه عامر فى حراسة شباب المقاومة الى حجرة التحكم

جلس على أجهزة التحكم وبدأ بتشغيل اللاسلكي بعد أن أوقف جهاز التشويش الخاص به

وبدأ بارسال رسالات لاسلكية كل زمن معين الى المركز الرئيسي كما اعتاد الحراس حتى لا يشكوا فى أى شئ أو يرسلوا دورية للإستطلاع

خرج جميع الأسرى حتى الموجودين فى زنزانات التأديب بمساعدة رجال المقاومة وتحت ضوء المصابيح التي يحملها الشباب الى السيارات الأربع وركبوا جميعا

وبدأت قافلة السيارات تغادر المكان ولم يتركوا وراءهم سوى

الجثث

.فقط......الجثث

أما عامر وبعض الشباب فلن يغادر المكان الا بعد ساعتين ليداوم على ارسال الإشارة الى المركز الرئيسي حتى تبتعد السيارات الأربع الى منطقة آمنة

بعدها يغادر هو وحرسه من شباب المقاومة المكان فى سيارة من سيارات الحصن






(٢٣)

الأب

سارت السيارات الأربع فى نفس الطريق الذى سلكوه وهم قادمون الى هنا ..لم يستطع محمد الصبر ..أخذ يتنقل بين السيارات السائرة ويسأل عن أسير مصري يدعى السيد طه حسن الشرقاوى ..وزياد يسأل معه لم يرد عليه أى فرد من السيارات الأربع ...ولم يحصل على اجابة لسؤاله عندها تملكه يأس شديد وجلس فى احدى السيارات عاجز عن النطق والدموع تملأ عينيه كمن أصابته صدمة .. وزياد يجلس بجواره لا يدري ماذا يقول له ولا كيف يخفف من ألمه

سمع محمد صوت أبو أيمن ينادى عليه :

محمد ..تعالى هنا حالا

قفز محمد من السيارة وانطلق يجرى حتى وصل الى السيارة التى ناداه منها أبو أيمن وقفز بداخلها ومعه زياد

نظر لأبو أيمن ..فأشار دون كلام الى رجل كهل أشعث الشعر ..كث اللحية والشارب كمن لم يحلق منذ سنين متسخ الثياب والجسم يجلس شاردا كأنما لا يعي ما حوله

تأمله محمد مليا وقال : حضرتك..السيد..طه..حسن..الشرقاوي ؟



لم يتلق رد بل لم ينظر الرجل اليه حتى

نظر الى أبوأيمن كأنما يطلب منه المساعدة فأشار له بالإيجاب

عاد يتأمل الرجل وتأكد أنه يشبه الصورة المعلقة على الحائط في داره

قرب وجهه منه وخلع لثامه الأسود ونظر فى عينيه مباشرة ودموعه تسيل على خديه

لكن الرجل كان ينظر باتجاه آخر مذهول عمن حوله

قال محمد بقوة وهو يشد على ساعديه :

من أكتر من ٢٠ سنة استدعوك للتجنيد ، وسبت مراتك ..وهى لسه عروسة بعد ما اتجوزتها بشهرين ؟

لم يتحرك الرجل أبدا

قال محمد بصوت متهدج ودموعه تغرق خديه وهو يهزه برفق :

مراتك..الست حميدة حسنين..خلفت ولد..ابنك

لأول مرة تتحرك عيني الرجل لتلتقي بعيني محمد وأخذ يتأمل ملامح وجهه بصمت

محمد بأمل جارف وحنين بلا حدود وبصوت يخنقه البكاء :

أيوه ..أنا ..أنا يابا..محمد السيد طه حسن الشرقاوى



طالت لحظات الصمت وكأنها دهر

رفع السيد يده المرتعشة ببطء شديد وبدأ يتحسس وجه محمد

و عينيه تذرفان دمعات تحولت شيئا فشيئا الى أنهار من الدموع وأخذ جسده يرتجف بشدة ومحمد يمسك ذراعيه بقوة

قال الرجل بصوت مرتعش و بنحيب يمزق القلوب : حا..حا..حميده !!..ابنى ؟

ابنى أنا ؟ محـ...مـ..د !!

ثم صرخ بلوعة: محمد

جذبه من شعره واحتضنه بفيض من حنان الحرمان لأكثر من عشرين سنة

ثم دفعه بعيدا وأخذ يتأمل ملامح وجهه بشوق وحب لا محدود وأخذ يقبل ملامحه كلها وهو يبكي وينتحب بصوت عالي

ومحمد يحتضنه ولا يستطيع الكف عن البكاء والنحيب

نصف ساعة كاملة على هذه الحالة..

ثم بدأ الوضع يهدأ تدريجيا

قام شباب المجاهدين بتوزيع الطعام والشراب على الأسرى واسعاف المصابين ورعايتهم



لكن السيد لم يأكل .

لقد أخذ محمد بين ذراعيه ولم يتركه وكأنما يخشى أن يفقده بعد أن وجده

السيد بحنان جارف وهو يتأمل ملامحه: حميدة ..حميدة..

وش أمك..عنين أمك..كلك أمك

أمك فيها عرق تركي ..وانت طالع لها..جميل زيها

خدت منها كل حاجة

تدخل أبو أيمن فى الحوار وقال بتأثر: وأخد منك العند والراس الناشفة

لولا ها لولد ده هو وصاحبه ماكنا عرفنا نخرجك من السجن

نظر السيد اليه بدهشة ثم نظر لمحمد ثم احتضنه بمنتهى الحب

وهو يتحسس وجهه وشعره ويبكي

محمد : قولى يابا..احكيلي ..عملوا فيك ايه فى السجن؟

السيد : خلاص ..مفيش سجن..من ساعة ماشوفتك نسيت كل سنين السجن مافيش غيرك دلوقتي مالي عنيا وقلبي



التفت محمد لزياد : آبا..أعرفك بزياد صاحبي ، أجدع واد في فلسطين كلها ، وصاحب صاحبه

سلم السيد عليه بحرارة

ولاحظ محمد الدموع الحبيسة فى عيني صديقه وفهمها على الفور ، وخفتت ابتسامة سعادته بأبيه قليلا

السيد : أمك عاملة ايه؟ وابويا ؟والبلد ؟

قال محمد بكلمات تقطر غضبا : أمي عاشت تستناك عمرها كله

عاشت أرملة وانت حى

جدي عمره ما فقد الأمل في رجوعك

....................

لم تصل الإشارة فى الوقت المحدد

وبدأ الصهاينة فى المركز الرئيسي يشكون فى الأمر

انقطعت الإتصالات بينهم وبين سجن اللهب تماما

حتى محمول قائد السجن ..لا يرد



أرسلوا دورية لإستطلاع الأمر

وصلت الدوريه الى سجن اللهب

فلم تجد الا جثث فقط ....

جن جنون الصهاينة فى كل مكان على أرض فلسطين

انطلقت دوريات البحث والمطاردة فى كل مكان

لكن ..تطارد من؟ لا أحد

لقد فات الأوان بكثير

فلم يكن هناك أحد ..لم يجدوا أى شئ

وأدرك اليهود متأخرا جدا الصفعة الرهيبة التى نزلت تدوى على مؤخرة أعناقهم..وتزلزلهم

وصلت السيارات الى مكان آمن وبعيد عن الأعين ، معد سابقا ومؤمن جيدا..

سبقهم اليه مجموعة كبيرة من رجال المقاومة وجهزوا لهم مكان للمبيت وطعام وملابس وأوراق هوية

وقضوا ليلتهم فى هذا المكان

وقضى السيد ليلته مستيقظا ينظر الى ملامح محمد يتحسسها ويتأمل فيها بكل الحب



فى الصباح..........

بدؤا يعدون العدة للرحيل....وقام شباب المقاومة بمساعدة الأسرى لتجهيز أنفسهم وتبديل ملابسهم بما يناسب هوياتهم

قام محمد بمساعدة والده فى قص شعره و حلاقة ذقنه وتنظيم شاربه ....حتى بات أشبه بالصورة التى ينظر اليها محمد كل يوم فى بيت جده باستثناء بعض الشعيرات البيضاء التى زانت رأسه بالوقار

وساعده محمد فى خلع ملابس السجن

لكنه عندما نظر الى ظهر أبيه الذى حفرت فيه سياط التعذيب حفرا عميقة

شعر بغضب هائل يملأ كيانه وضغط أسنانه فى قوة وظهر فى عينيه بريق مخيف عندما فوجئ بأن والده لا يستطيع تحريك كفه اليسرى بشكل كامل

وعندما وقف على قدميه لاحظ محمد عرجا في ساقه اليمنى

السيد : محمد !! مالك يا محمد ؟

استعاد محمد السيطرة على مشاعره بسرعة ونظر لأبيه بحنان : ولا حاجة يابا...يلا...يلا علشان ما نتأخرش



ارتدت المجموعة المصرية زي سائحين يهود .. متجهين الى احدى القرى السياحية في سيناء لقضاء رحلة ترفيهية ، وركبوا حافلة سياحية

وحضر الدليل الذى سوف يقودهم عبر طرق وعرة وغير معروفة ليصل بهم الى أقرب مكان للحدود

أما مجموعة المعتقلين الفلسطينيين فسوف تتجه لطريق آخر

الى داخل فلسطين

وبدأت لحظات الوداع بين الفريقين

ودع الأصدقاء الذين جمعتهم سنوات طويلة من السجن والعذاب بعضهم بعضا بكل الحب والمشاعر الجميلة

صعد كل فريق الى مكانه ...وساعد محمد والده على الصعود الى الحافلة : اطلع يابا ..أنا فى ضهرك عدل

صعد السيد الى السيارة والتف ليمد يده الى ابنه

لكن محمد لم يركب ....وبدأت الحافلة بالتحرك

وأحاطت الأذرع القوية بالأب المذهول لتمنعه من النزول



وسارت الحافلة ببطء وبجوارها محمد وزياد على أقدامهما

ومحمد دموعه تنهمر كالسيل وصوته مشروخ :

سامحني يابا....سامحني....مش هاقدر أرجع....لسه المشوار طويل..لسه الحرب ما خلصتش

صرخ الأب غير مصدق : محمد ...محمااااااد...ابنى

محمد : قول لأمي اني بعتلها الهدية اللي وعدتها بيها

الأب بلوعة وحسرة ودموعه تغرقه :

محمااد ....لا ...ضنايا....محمد

سالت الدموع غزيرة من عيني زياد وهو يسير بجوار صديقه وأكمل محمد بألم : قول لأمي تسامحني وتدعيلي

قول للحاج اسماعين يدور لبنته على عريس تاني

أني خلاص اتجوزت

الأب وهو يقاوم الأيدى القوية : محمد .....محمد ....لا يا محمد...ماتسبنيش

محمد بغضب وتوعد : وعزة جلال الله ....لأخليهم ماينداموش الليل

دمك اللى سال عالأرض دى وكل العذاب اللي اتعذبته في الأسر..تمنه غالي ......غالي قوي

وقف محمد وزياد بجانبه والحافلة تبتعد ببطء

الأب بلوعة : محمد ...أقول ايه لأمك يا محمد ؟

صمت محمد قليلا ..ثم رفع رأسه بشموخ : قول لها ...

راح يبوس لأعتاب ...ويصلي ركعتين فى الأقصى

فهم الأب الرسالة ..فصرخ صرخة ملتاعة من أعماق قلبه المحترق بنيران الفراق

مـــــــــحــــــــــمـــــــــاااااا ااااد

ورحلت الحافلة ومحمد دافنا رأسه فى صدر صديقه الذى سالت دموعه غزيرة

دموع حزن لألم صديقه ودموع فرح..لأنه لن يسير فى طريق الجهاد وحيدا

.....................................





البداية

يا اللي هنا .. يا عم الحاج سيد

انتفض محمد برعب وتعلق بكف أمه وهو يقول بخوف : عبعاطي !!

قالت الأم بحنان وهي تمسح على رأسه لتطمئنه : متخافش يا محمد

دق عبد العاطي باب البيت المفتوح ، فأتى له الأب يجر ساقه وقال باقتضاب : نعم!!

أخذت الأم بيد محمد ووقفت تراقب ما يحدث بوجل ، ومحمد يطل برأسه الصغير من خلف جلبابها ليرى ما يحدث والخوف يملأ قلبه بعد أن أتى عبد العاطي في زيه الرسمي كأمين شرطة حتى باب داره

ابتلع عبد العاطي ريقه عندما اصطدمت عيناه بذلك البريق الصارم المطل من نظرات السيد ، فقال بصوت متردد : أني جاي أشتكيلك من محمد وعمايله يرضيك يـ..

قاطعه بصرامة : جاي ليه يا عبعاطي ؟ خش في الموضوع وقول اللى انت هازز طولك ولابس لي بدلتك وجي لحد هنه عشان تقوله

ابتلع عبد العاطي ريقه بارتباك وقال بلين ومداهنة: مانت عارف يابا الحاج ، الشركة مبتبطلش تسأل ، هايموتوا ويشتروا الأرض بالسعر اللى تقول عليه





نظر اليه السيد نظرة جعلت الرعب يدب في أوصاله : حد قالك ان السيد الشرقاوي ممكن يفرط في قيراط من أرضه!! هو انت مبلغتهمش ردي النوبة اللى فاتت؟

قال بصوت مهزوز : حصل ، حصل والله يا عم الحاج

بس همه بقى كل شوية يتصلوا بيا ويزودوا في السعر ، وفي آخر تلفون قالولي هايبعتولك العقد ممضي على بياض وانت تحط السعر اللى تحدده

يا با الحاج وافق ،، دا خير كتير جايلك وحرام ترده ، والمنفعة هاتعود عليك وعالبلد كلها

قال باستهزاء : قصدك هاتعود عليك انت من مبلغ السمسرة اللى هتلهفه

لكن هاتعود عالبلد بإيه لما ياخدوا الأرض الزراعية يبوروها ويجرفوها ويبنوا عليها مصنع يرمي دخانه عالخلق ويبليهم بكل الأمراض

قال باستكانة : يا عم الحاج دي اشاعات ، والله اشعات ، ناس سو مش عاوزة الخير لبلدها

وبعدين ما كل اللى حواليك باعوا ، اشمعنى انت اللى واقف فيها!!

وانت يعنى متأخذنيش في دي الكلمة لا تقدر تزرعها بعافيتك ، ولا معاك فلوس تأجر عليها



اسمع كلامي وخد الفلوس ينفعوك ويسدوا ديونك ويعيشوك مرتاح اللي باقي من عمرك وينفعوا ابنك لما يكبر ، دا العيال اليومين دول محتاجين تقلهم فلوس

ثم قال بلهجة خبيثة بها رائحة تهديد : دول ناس قادرة وواصلة ومعاهم فلوس يامه ، وانت بطولك وابنك لسه صغار ومحتاجك

اشتعل وجهه بغضب عارم جعل قلب عبد العاطي يرتجف : قول للي باعتينك أعلى ما في خيلهم يركبوه ، السيد الشرقاوي مبيبعش ، وان كنت فاكر انك هتهدني بالبدلة الميري اللى بتتحامى فيها ، يبقى متعرفش مين هو السيد الشرقاوي ولا ممكن يعمل ايه عشان أرضه

رفع عصاه ولوح بها في وجهه : غور من هنا ، وحسك عينك تجيب سيرة الأرض ولا البيع قدامي

ارتجف عبد العاطي بشدة وقال برعب : حا .. حاضر ، حاضر يا عم الحاج

هم بالهروب من المكان لولا أن جمده صوت السيد رعبا : عبـعـاطـي

التفت اليه وقلبه يكاد يتوقف ، فقال السيد بوجه يشتعل غضبا وبصوت كالرعد : لو قربت من ابني ولا دست له على طرف ، هاطلع مصارينك في ايدي

ســـــــامـــع

هرب عبد العاطي من أمامه وهو يتعثر في أقدامه ويتمتم بكلمات غير مفهومة



ترك محمد يد أمه وتقدم بضع خطوات وأخذ يتأمل والده بفخر وسعادة ، ثم التفت الى الصورة المعلقة على الحائط وتوغلت عيناه في ملامح أخيه الأكبر ذو العينين المشتعلتين باللهب

وارتسمت على وجهه ابتسامة عزة كبيرة

.........................................................

وقف الأب متكئا على عصاه وسط أرضه كجذع نخلة باسقة ، ونسيم العصارى العليل يداعب جلبابه الأبيض الناصع وهو يتأمل شجرة الياسمين التى طالما أحبها محمد وجلس تحتها أوقاتا طويلة

وأخذ يتخيله جالسا تحتها ينظر اليه و يبتسم

بدأ يحدثه كما لو كان موجود أمامه :

ياااااه يا محمد..وحشتني يا وله..وحشني حضنك الدافي.. ودراعك القوي يسندني فى آخر أيامي بعد ما ضهري انحنى

فينك يابني تشوف اللى بيبيعوا ويشتروا فابوك ويستغلوا عجزه وعاوزين يسرقوا أرضه

محتاجك جنبي تقف لهم ، وتاخد بالك من أخوك ويتحامى فيك

نفسي أشوفك..نفسي آخدك فى حضني يا ضنايا



ليه يابني القسوة دي؟ ليه سبتني لوحدي ورحت مع صاحبك

ياترى ...هاشوفك تانى يا محمد؟

ترتعش الشفاه الهرمة المجعدة تحت الشارب الأبيض وتحتبس الدموع في العينين المملوءتين حبا وشوقا

وضع الأب يده فى جيبه وأخرج ورقة قديمة لاتفارق جيبه أبدا

فتحها..فإذا هى قصاصة من صحيفة قديمة مكتوب فيها

عملية استشهادية جديدة فى نادى الضباط فى تل أبيب

مقتل ٤٠ ضابط اسرائيلي وجرح ٢٠٣ واستشهاد منفذي العملية

وفي أسفل الورقة تتأمل عيناه صورة لشابين جميلين يبتسمان كتب تحتها منفذي العملية ..

زياد عبد الرحمن ومحمد السيد الشرقاوى

تتساقط دموعه على الورقة وهو يقول :

ياترى يا ضنايا هاشوفك تاني فى الآخرة ؟

ياااااااااارب.....اجمعني بيه فى الجنة

ياترى يا محمد ..هاترضى تشفعلي يوم القيامة ؟



ولا هاتسيبني تاني وتروح مع صاحبك ؟

.....................

مـــــحـــــمـــــد.......... مـــــحـــــمـــــد......

محمد بضيق : إيييييييه ، متهزش ايدي

أسامة : ما بلاش ويالله نروح

محمد : لو خايف روح أنت ، أنا بقى مبخافش

أسامة : اشمعنى فريد مدير الجمعية الزراعية اللى عاوز تعمل فيه كده؟ ما كفاية عبعاطي

محمد : أبويا قالي إنه هو اللى بيسرق الكيماوي بتاع الفلاحين ويبيعهولهم في السوق السودا

أسامة : وانت ايش دخلك ، هاتعمللي فيها أحمد عرابي اللي بيدافع عن الفلاحين؟

محمد :بس ياض يا أهبل انت ، ما الفلاحين دول همه أبويا وأبوك

أسامة : إنت عارف لو مسكك هيعمل فيك إيه؟

لم يكمل أسامة الجملة إلا وقد كان الشمروخ قد انطلق وأصاب هدفه بدقة

وارتفع صراخ فريد وأسامة ومحمد يراقبانه من خلف جدار بيت

اجتمع الناس على فريد الذي صرخ : مين ابن الشياطين اللى عمل كدة؟



تطوع أحدهم قائلا : مفيش غيره ، الواد ابن السيد الشرقاوي

نظر محمد حوله فلم يجد أسامة فانطلق كالقذيفة لا يوقفه شيء والجمع كله يركض خلفه ويصر على الامساك به

تـــــــــــمـــــــــــت بحمد الله وفضله

